حقائق غريبة ومثيرة

الناشر : **مكتبة جزيرة الورد**

المنصورة – شارع عبد السلام عارف

ت : ٣٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

حقائق غريبة ومثيرة

إعداد
هاشم محمد هاشم

مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة

المقدمة

ونبقي أيام قليلة ويمضى القرن الذي نعيش فيه في ذمة التاريخ بخيره وشره لكن وسط الأحداث والمشاهد سواء تلك التي خبرها الناس وعرفوها أو تلك التي قرعوا عنها ولم يدركوها تبقى بعض الأحداث الغريبة والقضايا المثيرة التي تستعصى على الفهم أو التصديق ، فهناك حوادث اختفاء الطائرات والسفن والبشر الذين لا يوجد لهم أثر حتى الآن؟

وهناك قضايا تثير الدهشة مثل التنويم المغناطيسي أو العلاج عن طريق الوخز بالإبر والتي يجد بعض الناس الشفاء عن طريقها.

أما الاكتشافات العلمية والأثرية خلال القرن فلا نهاية لها فهي أوسع مدى وأكبر أثرا ، فلا يزال سر ظهور الحضارات الكبرى واضمحلالها يثير الجدل ويحفز العلماء نحو تدبيج نظريات موت وولادة الحضارات . وعلى سبيل المثال فإن الحضارة الفرعونية لا زالت تفتن الشعوب بكل ما حوته من آثار وأسرار ، ولا زال العلماء من كل الأنحاء يبحثون – على سبيل المثال – في سر بناء الأهرام ، ويطرحون حول ذلك النظريات ويأتي بعدهم قوم بنظريات أخرى جديدة وهكذا يبقى اللغز قائما.

هذه القضايا و الأحداث هي ما سوف تطالعه عزيزي القـــارئ بين صفحات هذا الكتاب ، وينبغي أن تعلم قبل أن تغذ في القـــراءة أن المعلومات و الحقائق العلمية الواردة فيه حقيقية موثّقة على لسان أصحابها و هى نتاج استطلاع و اسع قام به جيرى بـــــراون Gerry Brown ونشره في كتاب The World's Greatest Mysteries (غرائب العالم الكبرى) وقد قمنا بنقله بقليل من التصرف الـــــذي يناسب القارئ العربي.

مع خالص تحياتي

هاشم محمد هاشم

الأطفال العباقرة

الأطفال العباقرة يتميزون عادة بإتقانهم المبكر والمدهش للـــغة والأدب والموسيقى والرياضة فى الوقـت الذى يكون فيه أقرانهم يكافحون لنطق الكلمات ، ولكن هل الأطفـال العباقرة نتاج الوراثة حقاً ؟

لقد حاول الأمريكيون في عام ١٩٨٠ الإجابة عن هذا السؤال . بإنشاء بنك للحيوانات المنوية في اسكنديدو بكاليفورنيا يموله المليونير روبرت جراهام.

كان هدف البنك – ولا يزال – إنتاج أطفال موهوبين بأعداد متزايدة في الأجيال القادمة ، وكان البنك يأخذ الحيوانات المنوية من رجال موهوبين ومتميزين في ذكائهم وأعمالهم ، ويطلب أمهات يتميزون بالذكاء ويتبرعن لحمل الأطفال العباقرة في ارحماهن؟!

وكانت أول أم من هذا النوع عالمة نفس غير متزوجة من لوس أنجلوس في الحادية والأربعين من عمرها تدعى أفتون بليك، وقد اختارت أفتون حيوانا منوياً لرجل يتمتع بصحة جيدة ودرجة عالية من الذكاء ويحمل رقم ٢٨ في سجلات البنك ، وكان عالم كمبيوتر لامع يعمل في إحدى الجامعات الأوربية ويهوى الموسيقى والرياضة.

وفي عام ١٩٨٢ أنجبت بليك طفلها النابغ وأسمته دورون ! وعندما أتم دورون شهرة الرابع تم فحصه في مركز نمو الطفل بجامعة كاليفورنيا حيث تبين أن معامل ذكائه كان ٢٠٠ بينما معامل ذكاء الطفل العادي كان ١٠٠ كما لوحظ أن نموه العام كان أسرع من نمو أقرانه.

غير أن تاريخ العباقرة لا يربط بالضرورة بين الطفل النابغة وبين والدين نابغين ، فوالد اينشتاين كان رجل أعمال مفلسا في ألمانيا الغربية ، وكذلك والدته لم تكن ذات مواهب متميزة برغم حبها للموسيقى والأدب ، ورغم ذلك علّم اينشتاين نفسه بنفسه الهندسة والرياضيات ، والتحق بجامعة زيورخ وهو فى سن الـ١٤ من عمره وبعد نحو ١٠سنوات كان قد نشر الجزء الأول من نظرية النسبية وشرع يكشف أسرار الكون ، ثم شرح عمل الذرَة وتوصل إلي تطوير القوة النووية والقنبلة الذرّية.

أما ولفجانج موزار فقد ولد عام ١٧٥٦ لأب موسيقى لكنه تفوق على أبيه منذ بدأ يمشى ، في سن الثالثة أخذ يعزف الموسيقى! وفى الخامسة بدأ يؤلف القطع الموسيقية ! وبعد عام واحد عزف أمام إمبراطور النمسا في فيينا. وفى سن السابعة بدأ بنشر أعماله؟! ثم قدمها في باريس وبروكسل ، وفى العام التالي عزف للملك جورج الثالث في لندن ، وكتب سيمفونيتين ، كما انه كتب أول أوبرا له وهو في الثانية عشرة من العمر وعندما بلغ الرابعة عشرة منحة البابا رتبة فارس. وأخيرا مات موزار فقيرا ولما يتجاوز عمره ٣٥ عاما . لقد كان موزار أعجوبة موسيقية منذ صغره.

كما أن الشاعر الألماني جوته تمكن من قراءة اليونانية وهو في الثالثة من عمره ، وعلى العكس منذ ذلك كان الشاعر المسرحي العظيم وليام شكسبير طفلا عاديا لا يبشر بأي نبوغ ، وكان والد شكسبير رجل أعمال ميسور غير أنه كان مبذرا ، ولذلك أخرج ابنه من المدرسة وجعله يبحث عن عمل ، وهناك أدلة تشير الي أن شكسبير كان في مراهقته لصا، وقد اضطر مرة الي الهرب بعد أن شاهده السيد توماس لوسى وهو يحاول سرقة غزال من مزرعته ولم تظهر مواهب شكسبير الأدبية إلاّ في أواخر عشرينات عمره.

ولقد شهد القرن العشرين عددا من الأطفال العباقرة وخاصة في ميدان التربية والتعليم ، ففي عام ١٩٨١ تمكن الطفل الصيني " ليو زياوبن " من اجتياز امتحان الدخول والتحق بالجامعة وهو في سن الخامسة ، وكان في الثانية من عمره قادرا على قراءة ٣٦٠٠ كلمة وهو ابن لمعلم ومعلمة.

أما الطفل المعجزة " أندراكون ديميليو " المولود عام ١٩٧٧ فكان أصغر طالب يتخرج من جامعة أمريكية وهو في سن الـ ١١ سنة حيث تخرج في الرياضيات من جامعته كاليفورنيا في سانتا كروز.

وكان " أندراكون " قد أدهش والديه عندما قال لهم " هالو " وهو في أسبوعه السابع فقط. وعندما بلغ عامين ونصف أخذ يلعب

الشطرنج ويحل المسائل الهندسية ، وفى الثامنة كان يكتب برامـــج الكمبيوتر المعقدة ، ويقول والده تعليقا على ذلك " لا أعرف مـن أين حصل على مواهبه وبالتأكيد ليس منى فأنا لا أملـــك مواهــب معينه وأحيانا أشعر بالخوف لكوني أباً لهذا الطفل المعجزة " !!

وفى بريطانيا كانت " روث لورانس " أصغر طالبـــة تلتحــق بالجامعة ، وقد تخرجت وهى في الثالثة عشرة من عمرهـــا مــن جامعة اكسفورد وشرعت فورا تعد للدكتوراه ، وكان والدهـــا قــد ترك عمله كمستشار للكمبيوتر وتفرغ لرعاية ابنته والأخذ بيدهـــا ، وقد شهدت سوراى موهبة عجيبة بطلها الطفل " انطونى مـــاكون " الذى كان يتكلم اللاتينية ويحفظ أشعار شكسبير وهو في الثانية مــن عمره ويقول والده: " ليس عندي مواهب أورثتها لأنطونى وأنا لـــم أعلمه شيئا بل على العكس هو يصحح لي القواعد عندمـــا أتحــدث معه مما اضطرني الي اقتناء إحدى الموسوعات للتحقيق من صحــة ما يقوله أنطونى لي ، كما أن انطونى يحفــظ شـــعار ٢٠٠ نــوع مختلف من السيارات ، وفى مقابلة صحفية أجريت معه عام ١٩٨٤ عزا الطفل ذي العامين معلوماته الي صديق غامض غير منظـــور اسمه آدم ، وأصر على أن صديقـــه آدم هــو الـــذي ينقــل إليـــه المعلومات التى يعرفها وقد وصف آدم بأنه رجل ناضج ذي شـــعر

اسود وعينين بنيتين يرتدى ثوبا فضفاضا وصنـــدلاً ولـــه لحيـــة أيضا!.

وفى عام ١٩٨٨ قام الطفل توم جريجورى البالغ من العمــــر ١١ عام بقطع بحر المانش سباحة كما قام الغطاس البريطاني بفرلى وليامس البالغ من العمر ١٠سنوات بمنافســـة ريـــاضي الولايـــات المتحدة عام ١٩٦٧ ويعتبر ولفرد بنتز أصغر حامل للقب بطولـــــة الملاكمة في الوزن الخفيف وقد فاز به في عام ١٩٦٧ وهـــو فـــي الـــ١٧ من عمره .

إن تفوق الأطفال الموهوبين يجلب عادة الســـعادة والبهجـــة لآبائهم غير أنه يجلب أحيانا التعاسة والعذاب فـــالطفل الأوكرانـــي " سيريوجا كرشين " البالغ من العمر ١٢ سنه تعرّض مع والدتـــــه تامار الي اضطهاد مسئولي التربية الســـوفييت طـــوال ٥ ســـنوات علاوة على تعريض سيريوجا لاضطـــهاد أقرانـــه وزملائـــه فـــي المدرسة.

وهكذا يظل الســـؤال المطـــروح ، هـــل باســـتطاعة الأبـــاء الطموحين تنمية قدرات أبنائهم واستثمار مواهبهم الي حد خلـــــق عباقرة منهم ، أم أن الأولاد النابهين قد يولدون لآبـــــاء عـــاديين يفتقرون الي أية مواهب وبصرف النظر عن مدى ذكائهم؟

صـــــور الجنيـــات

لن تندهش إذا عرفت أن السيد أرثر كونـان دويل مبتكر شخصية شرلوك هولمز البوليسية كان يصدّق كـــلام فتاتين صغيرتين قالتا بأنـهما التقطتا صوراً مع الجن والأقزام الخرافية ، فـهل كانت الصـــور حقيقيـــــة ، أم إن الأمـــر التبس علىالكاتب الكبيـــر كما التبس على غيـــره ممن شاهد الصور؟

لقد كانت الفتاة فرانسيس جريفت البالغة من العمر ١١ عامـاً تعيش في بيت قريبتها السى رايت البالغة من العمـر ١٥ عامـاً ، نظراً لأن والد فرانسيس ، كان يحارب في فرنسا أثنـاء الحـرب العالمية الأولـى ، وفـى شـهر يوليـو سـنة ١٩١٧ اسـتعارت السى رايت.. كاميرا والدها والتقطت لفرانسيس صورة في حديقـة المنزل ، وبعد الظهر بدأ الوالد في طبع الصورة في غرفة مظلمـة وفوجئ بوجود أشكال غريبة أمام صورة فرانسيس ، فظنـها فـي بداية الأمر أوراق السندويتشات ، غير أن السى أصرّت علـى أن هذه الأشكال كانت لجنيات ، وقد قالت ذلك في لامبالاة وخرجـت لتلعب مع صديقتها وقريبتها فرانسيس.

وبعد أسابيع قليلة استعارت الفتاتان الكـاميرا مـرّةً ثانيـة ، والتقطتا بعض الصور في الحديقة ، وفوجئ الأب مرة ثانية بعـد طبع الصور بظهور ابنته السى وأمامها قزم خرافي يقدم لـها ورده، وقد أتهم الأب الفتاتين بأنهما تحتالان عليه وتعبثـان بالكـاميرا ، ولذلك قرر عدم إعطائها لهما مرة أخري ولكنه عاد مـرة أخـري وتفحص مسودّة الصور بحثاً عن خيط أو ما شابه ذلك يتدلى أمـام عدسة الكاميرا ، ثم فتش مع زوجته غرفة نوم الفتاتين بحثـاً عـن أشكال شبيهه بالأشكال التى ظهرت في الصور ، لكنهما لما يجـدا

شيئا ، بعد ذلك قام الأب بعمل عدة نسخ ، من الصـــور وعــرض بعضها على جيرانه بدافع التفكه ثم نسيان الموضوع.

بعد عام تقريبا رجع والد فرانسيس مـــن فرنســا ، وكتبــت فرانسيس رسالة الي صديقة لها في جنوب أفريقيا ، حيــث ولــدت وترعرعت في سنواتها الأولى وأرفقت مع الرسالة صورتين .

وقد جاء في الرسالة " أنا أتعلم هذه الأيام في المدرسة اللغـــة الفرنسية والهندسة والجبر والطبخ ، عاد والدي الأسبوع المـــاضي من فرنسا بعد غيبة عشرة شهور ، وجميعنا يعتقــد بــأن الحــرب ستنتهي خلال أيام ، أبعث لك مع الرسالة صورتين لـــي ، واحــدة وأنا في ثوب السباحة ، وقد التقطها العم جاك ، والثانية لـــي مــع بعض الجنيات ، وقد التقطتها السى ، أما في الصورة الثانيـــة فقــد كتب على ظهرها ما يلي : " أنا والسى أصحاب جدا مع الجنيـــات ومن الغريب أنني لم أشاهدهن في أفريقيا ربما لأنهن لا يطقن الحر الشديد".

وفى عام ١٩١٩ عادت صور الجنيات فأثيرت ، ولكن هـــذه المرة على نطاق واسع ، في ذلك العام ذهبت السيدة بولـــى رايــت الي أحد اجتماعات جمعية روحية في برادفورد تهتم بالسعي الـــي معرفة الله عن طريق التأمل الفلسفي والكشف الصوفـــي. وهنـــاك تحدثت السيدة بولى عن صور الجنيـــات التـــى التقطتـــها ابنتـــها

وصديقتها ، فطلب أحد أعضاء الجمعيـــة الســيد ادوارد جـــاردنر الإطلاع على الصور.

لقد دهش السيد جاردنر عندما شاهد الصور، وعرضها علـــى خبيرين في التصوير وطلب منهما توضيح الصورة ففعلا ، وحصل على نسخ شديدة الوضوح ، وكان من الممكن أن يقف الأمر عنـــد هذا الحد ، غير أنّ إحدى الصحف في لندن طلبت في ذلك الوقـــت من السيد أرثر كونان دويل أن يكتب مقالة عن الجـــن ، فاســتعار الصور من جاردنر وعرضها على عالم النفس السيد اوليفر لـــودج الذى أفاد بأنها مجرد هراء ، ولما عاد فعرضها على خبـــير فـــي التصوير ، قال الأخير بأن الصور قد تكون حقيقية لأن الصور تدل على أن الجنيّات كن يتحركن ببطء أمام عدسة الكاميرا ، بعد ذلـــك طلب السيد آرثر من جاردنر أن يجرى مقابلة مع عائلة السيد رايت ويتحقق من صدق الرواية ، فعاد جاردنر وأخبر الســـيد آرثـــر أن الجماعة موثوقين ، وكانوا يتحدثون بصدق وأمانة ، عند ذلك تبنـــى السيد آرثر الصور ووضع بعضها في مقالته فأثار بذلـــك موجـــة عارمة من الاهتمام بالموضوع ، بعض الصحف سخرت من الأمـو وبعضها أجرى مقابلات مع الفتاتين وقـــال بـــأن الأمـــر يكتنفـــه الغموض !

ومن ثم عاد السيد آرثر الي جاردنر وأعطاه الكـاميرا وبـها فيلم عليه بعض العلامات السرية ، وطلب منه أن يتوجه الي مـنزل السيد رايت وطلب من الفتاتين التقاط بعض الصور الجديدة لهما مع الجنيّات ، ولسوء حظ السيد جاردنر كان الجو ممطـراً فـي تلـك الفترة ، وقد استمر المطر عدة أيام فاضطر الي ترك الكاميرا مـع الفتاتين بعد أن أرشدهما الي طريقة استخدامها وبعد شهر وصلتـه رسالة من السيدة بولى وفيها ثلاث صور تظهر فيها الجنيات مـع الفتاتين ، وقد فرح عندما تحقق من وجود العلامات السرية علـى الصور ، فتأكد بذلك من أن الفتاتين قـد اسـتخدمتا الفيلـم الـذى أعطاهما إيّاه.

لقد تعزز إيمان السيد جاردنر بصحـة الصـور وصدقـها ، وأبرق بالأخبار السعيدة الي السيد آرثر الذى كان في ذلك الوقـت في استراليا ، رد السيد آرثر برسالة عبر فيها عن سعادته فقـال: "ولقد فرحت كثيراً عندما استلمت رسالتك ومعها الصـور الثـلاث الرائعة التى تؤكد النتائج التى توصلنا إليها من قبل ، وعندما يتـم التسليم بوجود الجن فإن ظواهر نفسية أخرى سوف يتم تقبلها"

واليوم – ومن عجب – فإن هناك أدلة علميـة تشـير الـي احتمال وجود الأقزام العمالقة على الأقل ، في عام ١٩٥٩ تمكـن عالم الآثار ماكلين ماى من العثور على اكتشاف مدهش أثناء تنقيبه

عن الآثار في ايرلندا ، حيث وجد بقايا حضارات يرجع تاريخـــها الي نحو ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، بينها أدواتا وأفرانـــا وأنفاقـــا لا يمكن استخدامها إلا من قبل شعب من الأقزام ومهما كانت الحقيقة ، فإن أساطير الجن وعوالم الأقزام الخرافين ما زالت تجـــد صداهـــا لدى شعوب ايرلندا وسائر الجزر البريطانية حتى اليوم ، ولا يشـــك أحد من المسلمين بوجود عالم الجن ، الذين آتى ذكرهم بـــالقرآن ، وجاء وصفهم في كتب التراث في أماكن كثيرة.

***

الجديد حول أسرار بناء الأهرام

ما زال سر بناء الأهرامات يثير جدل الخبراء وعلماء الآثار والاجتهادات تتوالى ولا تنتهي .

وقد نشرت صحيفة الأهرام فـــى عددهـــا الصـــادر بتـــاريخ ١٩٩٨/٧/٢١ دراسة حول الاكتشافات التى تدور حول ســـر بنـــاء الهرم تحت عنوان علماء مصر يكشفون سر بنـــاء الأهرامـــات - شحنات كهروستاتيكيه وذبذبات صوتية لإلغاء تأثير الجاذبية علـــى الأحجار ؟! ". وتقول الدراسة:

كشفت ثلاث برديات فرعونية يرجع تاريخـــها الـــي عصـــر الدولة القديمة عن سر بناء الأهرامات وتفسير التكنولوجيا المتقدمـــة والحسابات الرياضية الدقيقة التى استخدمها المهندسون الفراعنة في فن العمارة وتشييد الأهرامات والمعابد وقص المسلاّت وإقامتـــها ، وأشارت البرديات التى وجدت في متاحف بريطانيا وبرلين وباريس الي أن الفراعنة استخدموا قدرات علمية وتكنولوجيا متقدمة في بناء الأهرامات وتحكموا في قوى الجاذبية الأرضية وفهموا البناء الذرى للمادة وما يحويه من طاقات هائلة ! ، واستخدموا الليزر في قـــص وصقل المسلات والتماثيل الجرانيتيه وتفوقوا فـــي علـــم الفضـــاء ورصد النجوم وحساب الزمن والمسافات بدقة فائقة.

وقال الدكتور سيد كريم رائد هندسة العمارة بجامعة القـــاهرة وخبير علم المصريات بهيئة الأمم المتحدة أن هذه البرديـــات لـــم نتمكن من الحصول عليها أو تصويرها لكننا قمنا بترجمتها وفهم ما فيها حيث تبين لنا خطأ جميع النظريات التى وضعها علماء الآثـــار

على مر العصور حول بناء الأهرامات من الناحية العلمية والفنية والتقنيّة سواء بإقامة الممرات الرملية بسيطة الانحدار أو باستعمال الزحافات ومراكب النيل لنقل الأحجار بحيث أنها لا تتفق مع الاعجاز العلمي والتكنولوجي لهندسة البناء وفن وعبقرية ومكان الإنشاء وقال إن المهندسين الفراعنة تحكموا في قوى الجاذبية وأثرها على رفع الأثقال كما هو الحال على سطح القمر أو في غرف تحكم الجاذبية الخاصة بأبحاث رحلات الفضاء ، واستطاعوا تحريك الأحجار وحملها لمسافات كبيرة وإعادة وضعها عن طريق تخفيف ثقل الحجر بإلغاء قوة التجاذب المادي بين الأرض وهذه الأحجار وذلك بتوجيه ذبذبات صوتية خاصة وشحنات كهروستاتيكية لتسهيل دفعها.

كما أشارت برديتان أحدهما في مقبرة مهندس الدولة الوسطى بالكرنك والثانية في متحف اللوفر بباريس الي أن أحد الكهنة كان يساعد العمال في نقل الحجارة الضخمة عن طريق قراءة تعاويذ سحرية خاصة وهو يحمل صندوق أوزوريس ، ثم يأمر العمال بدفع الحجر فيتحرك بغير مجهود ، ومن المرجح أن الكاهن هو أيمحو تب رسول التوحيد والكاهن الأكبر لمعبد منف بالدولة القديمة لأنه أول من استخدم الحجر في البناء في تاريخ الحضارات.

ووضع مختلف نظريات العمارة وأول من بنى الأهرامات ابتـــداء من الهرم المدرج للملك زوسر.

ولكن المؤرخ سولون قال عندما زار معبـــد أون أن الكهنـــة احتفظوا بأسرار علوم الحضارة حتى لا تخرج من حدود أرضهم ، فأطلقوا على أسرار العلوم ومعجزات نتائجها المبهرة كلمة ســـحر غير أن أحد المؤرخين الكبار ، بمتحف برلين توج أبحاثه بقولــه: " إذا حاولنا أن نزيح الستار عن حضارة مصر الفرعونية فما علينا الاّ أن نترجم كلمة سحر الي تكنولوجيا " وأضاف " إن أي حضـارة في العالم كانت مقومات نهضتها تتركز في نوعية القوى المحركـة لها والطاقة التى تحكمها وتحركها ، كالنـــار والبخـــار والكـــهرباء والإشعاعات بأنواعها ، وقد أشارت برديات السحر المصري القديم إلي الكثير من المعادلات العميقة ، والتكنولوجيا الدقيقة وهـــو مـــا يؤكد أن المصريين منذ بدء الحضارة سيطروا على الكثير من قوى الكون واستغلوا طاقته في تحقيق أغراضهم العلمية والعملية غـــير الإعجاز الطبي وفنون الجراحة خاصة جراحة المـــخ والأعصـــاب والتى قال عنها أحد كبار الجراحين فـــي مؤتمـــر جراحـــة المـــخ بأمريكا، أن تلك العمليات لا يمكن إجراؤها بدون الاستعانة بـــأحدث الأجهزة الإلكترونية الحديثة.

واستخدم المصريون نوعا من الأشعة تسمى الأشعة الخضراء، في تحنيط الموتى وهى أخطر أنواع الأشعة التى عرفها العلم ، حيث أنها تودى بحياة من يقترب منها وهو ما حدث لسارقي متعلقات توت عنخ آمون.

ويقول الدكتور زكى حواس أستاذ العمارة بهندسة عين شمس أن الهرم الأكبر لم يبن كمدفن للملك والدليل عدم وجود نعوش للموت كما في جميع غرف الدفن الأخرى ومقابر الملوك ، بل يعتبر الهرم تلسكوب لمراقبة الفضاء خصصه الكهنة للبحث العلمي، فليس من المعقول أن تخصص دولة ٢٠سنة من عمرها وتضع كل ميزانيتها لبناء مدفن. كما أن الهرم الأكبر بنى عند تلاقى خطى عرض وطول ٣٠. وضبطت زواياه بدقة بالغة مع الاتجاهات المغناطيسية للأرض لتسهيل دراسة الفضاء.

ويتساءل كيف تخيل الفراعنة هندسة الشكل الهرمي في الفراغ قبل البناء وهل هذا التفوق العلمي يتناسب مع أسلوب البناء المتواضع الذى وصفه المؤرخون ؟

ويتوقع الدكتور خليل مسيحه خبير علم المصريات أن سر علوم الفراعنة يكمن في الأشكال الهندسية الأساسية مثل الشكل الهرمي والمكعبي والثماني وذو الأوجه المتعددة لما لها من خواص إشعاعية وقدرات هائلة.

ويقول أن العلم الفرعوني ليس منقوشاً على الجدران فحسب وإنما هو داخل الأحجار نفسها ، وكشف خبير مصري عند دراسة أحجار الأهرامات أنهم استعانوا بالبندول عند بناء الأحجار على حد قول الدكتور كريم بحيث يتفق اتجاه وضعها مع اتجاه عروقها في الجبال التى انتزعت منها لمقاومة عوامل التعرية وللمحافظة على صلابتها أبد الدهر !.

كما ثبت أن الهرم الأكبر بنى على مرحلتين : الأولى يصل ارتفاعها إلي غرفة الملك وهى التي بنيت كمرصد لمخاطبة السماء، ثم اكتمل البناء بعد ذلك.

ومن ناحية أخرى قال الدكتور سيد كريم أن الاسم الحقيقي للملك الذي بنى الهرم الأكبر هو سوفيس وليس خوفو ، وهو الاسم الذي ورد في قوائم الكاهن المصري مانيتون أما كلمة خوفو فمعناها (جل جلاله) وقد أضيفت إلي قدس الأقداس عندما قام الملك بتكملة بناء الهرم ليصبح خزانة لأسرار المعرفة المقدسة واحتفظ بغرفة دفنه بعيدا.

وأعلن أخيرا خبراء سويسريون من المهتمين بدراسة البرديات والمتعلقات الفرعونية أن الفراعنة عرفوا الليزر عندما وجدوا أن نسيج الحلية التى كانت تغطى صدر إحدى أميرات الدولة القديمة صنعت من حبات خرز الكريستال الطبيعي الدقيق

الحجم وقد تم ثقبها لتعقد بأسلاك رفيعة من الذهب ولا يزيد قطـــر الثقوب المتماثلة تماما عن جزء من المليمتر ، وهو مـــا لا يمكـــن تنفيذه إلا باستخدام الليزر ، ويؤكد الخبراء انهم وجدوا أثار اللـــيزر داخل هذه الثقوب ، واستخدم القدماء هذه الأشعة في الطب والتحنيط كذلك عرفوا درجات مختلفة من الليزر واســـتخدموها فـــي صقـــل التماثيل الجرانيتيه وأحجار الديوريت والبازلت التي تحتفظ بلمعانـــها رغم تعرضها لمختلف العوامل الجوية عبر آلاف السنين ، وجديـــر بالذكر أن الفراعنة فهموا النظرية الذرية الحديثة وربطوها بنظـــام الكون حيث قالت رسائل " الخَلْق " المستمدة مـــن كتـــب العقيـــدة الفرعونية (خلق الإله الذرّة وأودع فيـــها حركـــة دورة الأفـــلاك الكونية كاملة).

ويوضح الدكتور مسيحة أن نظريات فن بناء الأهرامات لـــم تتوقف عند قطع الأحجار ونقلها من المحاجر البعيدة بل انتقلت إلـــي علاقة الشكل الهرمي بالإشعاعات الكونية من جهـــة والنظريـــات الرياضية المتقدمة من جهة أخرى حيث قـــام علمـــاء مـــن معـــهد البحوث في السويد بوضع عدد من الحشرات والفئران داخل نموذج هرمي فوجدوا أن الحشرات قد جفت وخضعت لعمليات تحنيـــط !. وقال إن الغرفة المجهولة التي تحتوى أسرار بناء الهرم تم تحديـــد مكانها وهى على عمق ٢٠ متر من غرفة الملك إلاّ أنها لم تفتـــح

حتى الأن ، ولن يستطيع إنسان فتحها قبل عام ٢٠٠٢ حيث يتشكل وضع نجمي خاص في السماء عرفه الفراعنة وحددوا علاماته وعواقبه !.

وبالطبع فلن تكون هذه الجولة من الآراء والتفسيرات والنظريات الجديدة حول بناء الأهرامات هي آخر الجولات .. فلا زالت الأسرار كثيرة ترقد في طي الكتمان ، فهل يتم الكشف عنها في يوم من الأيام ؟

***

هو فلاح في الأربعين من العمر طويل القامة عريض المنكبين . تعكس ملامحه الخشونة والهمجية .	راسبوتين

عيناه غائرتان تنعكس منهما نظرات ثاقبة ، شفتان رفيعتان ، لحية كثة مهملة. بالإضافة لهذه الملامح فقد كان يرتدى قميصاً من الصوف الخشن وبنطلونا متواضعا وحزاماً من الجلد السميك ، لم يكن هذا الرجل الذي اقتحم صالون الكونتيسة اينياتيف سوى صانع المعجزات " **قديس العهد الجديد راسبوتين** ".

ولم يتمالك الحاضرون أنفسهم من هول المفاجأة ، فكيف لهم أن يتخيلوا قديساً أو صانع معجزات بهذه الصورة ؟ إن هيئته أقرب ما تكون إلي الشياطين منها للقديسين والرهبان .. تساؤلات شتى وظنون وشكوك سرعان ما بدرت أمام نظرات هذا الرجل التي تسلب العقول وتسحر القلوب. وما هي إلا لحظات حتى أصبحوا جميعاً مسلوبي الإرادة تحت تأثير صوته الجهورى تارة والمنخفض تارةً أخري دون أن يدروا حقاً ما الذي أصابهم ؟

على أية حال فإن هذا المنظر الرث وهذه الملابس الخشنة سرعان ما أجرى عليها تعديلات جذرية وبدلاً من الصوف الخشن أصبح راسبوتين يلبس أغلي الثياب وأفخرها بل ويقال أن زوجة القيصر ونساء الطبقة الأرستقراطية كن يتنافسن على حياكة ملابسه وغسلها بأنفسهن طمعاً فيما سيصيبهن من كرامات ودعوات تقربهن إلي الله ولعل هذا ليس سوى مثل بسيط لما أصاب المجتمع الروسي ذلك الوقت من هوس وجنون أمام شخصية هذا الرجل .

ولكن كيف كانت بدايات هذا الرجل أو هذا الشيطان المتجسد في صورة إنسان ؟ كيف استطاع أن يصل إلي أعلى المستويات الاجتماعية والدينية وتتوثق علاقته بالقيصر نيقولا وزوجته لدرجة أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة في تعيين هذا الوزير أو إقالة هذا الوزير؟

ويقول الكاتب الكبير فيلوب ميلر في الجزء الخاص بشخصية راسبوتين في مجموعة كتبه " دوائر التاريخ " : ولد أفيم انريوفيتش راسبوتين في يوكروفسكويا بقرب سيبريا في أسرة متواضعة وكان والده يعمل حوذيا لعربة تجرها الجياد فنشأ بين عالمين متناقضين ، عالم الإسطبل بأسراره وعالم الإنجيل بصوره الجميلة وحروفه السوداء التي تتحدث لغة سماوية مقدسة.

وحتى عامه الثالث والثلاثين لم يتعرض راسبوتين لأي حادثة غير عادية اللهم إصابته بمرض خطير وتلك الرؤيا التي رآها بينما هو جالس في أحد الحقول . ورغم انه كان متزوجاً وله أبناء إلا أنه كان يقضى معظم وقته في الحانات وعندما يخرج يلاحق النساء ، وكان من الممكن أن تستمر حياته على هذا المنوال طويلاً لولا أنه كان يستقبل ذات يوم راهباً تعرف عليه وعلم أنه ينتمي إلي طائفة دينيه شاذة تعرف باسم " كليستى " تقوم معتقداتها على أساس فكرة غريبة وهى أن الطريق الوحيد للخلاص يكمن في تطهير النفس

بالخطيئة وهو المنهج التي راق كثيراً لراسبوتين فآمن بـــه علـــى الفور وهجر عمله وأسرته وكل المتع التي اعتـــاد عليـــها طـــوال حياته، والتحق بالدير الخاص بهذه الطائفة حيث تعلم كل ما يتعلـــق بها وبطقوسها ، ومعتقداتها وبعد سنوات أمضاها هائما على وجهـــه في جميع أرجاء روسيا حيث كان أينما حل تلتف من حوله النســـاء والفتيات وينغمسن معه في الخطيئة على أمل الوصول للخـلاص ؟! وقد عاد راسبوتين في ديسمبر سنة ١٩٠٣ إلي بلدته تسبقه ســـمعته كقديس قادر على شـــفاء المرضـــى وتخليـــص الأرواح المعذبـــة من كل الشرور.

أما كيف تعرف على القيصر وتوثقت صلتهما إلي هذا الحـــد فإن الملابسات التي أحاطت بهذا اللقاء تبدو كما لـــو كـــانت مـــن تصاريف القدر خاصة وأن ظـــهور هـــذا الرجـــل فـــي البـــلاط الإمبراطوري يكون فيما بعد من الأسباب الرئيســـية التـــي ألّبـــت الشعب الروسي على قيصره ودفعته ذات يوم للثـــورة عليـــه ثـــم إعدامه هو وأسرته.

عندما ظهر راسبوتين في حياة القيصر كان بمثابة القشة التـــي يتعلق بها الغريق ، فقد كان ولده الوحيد وولى عهده الأمير الكســـى مصابا بمرض الهيموفيليا وفى إحدى نوبات المرض التى تعتريـــه من حين لآخر وبينما الأطباء عاجزون عن فعل أي شيء له . دخل

راسبوتين حجرة الأمير الصغير وقام بتلاوة بعض الصلوات فـــإذا بالكسى يفيق من غيبوبته ويبرأ من آلامه ويجلـــس علـــى ســـريره ويتحدث إلي هذا الغريب بكل مودة كما لو كان يعرفه منذ سنوات ، هكذا كان دخول راسبوتين حياة القيصر بمثابة المعجزة الســـماوية التي أنقذت ولده الوحيد من مصيره المحتوم ومنذ ذلك الحين أصبح راسبوتين من أقرب أصدقاء القيصر الذي يستشـــيره فـــي جميـــع الأمور الخاصة به وبالبلاد !

ورغم ما قيل عن ســـمعة هـــذا الرجـــل ورغـــم الشـــائعات والتحذيرات التي بلغت القيصر عن سلوكه المشين وســـكره البيِّـــن وعلاقاته النسائية المخجلة واستغلاله لنفوذه في الوســـاطة لبعـــض الناس مقابل الهدايا والأموال فقد كان القيصر وبضغط من زوجتـــه يتغاضى عن كل هذا مؤكداً أنه قديس وصانع معجزات وان هـــذه الشائعات من وحي خيال الحاقدين والحاسدين الذين يمقتونه لعلاقتـــه به وبعائلته ، أما الإمبراطورة فقد كانت على إيمـــان عميـــق بـــأن راسبوتين هو مبعوث العناية الإلهية لســـد الفجـــوة بيـــن القيصـــر وشعبه، وأن ولدها لن تكتب له الحياة بعيداً عن رعاية هذا القدِّيس.

والأمر الغريب حقاً هو أن راسبوتين كان بـــالفعل وبشـــهادة الشهود قادراً على إيقاف أي نزيف يتعرض له الأمـــير الصغـــير وحتى الآن لم يتمكن أحد من معرفة سر نجاحه في هذا الأمر ، أما

الأغرب من كل هذا وذلك فقد كان مشهد اغتيال راسبوتين الذى دبر على أيدي عدد من كبار المسؤولين في الدولة وعلى رأسهم الأمير " يوسوبوف " بعد أن وصل نفوذه في ظل غياب القيصر في الحرب إلي حد إدارة شئون البلاد بتفويض من الإمبراطورة . ففى ليلة السادس من ديسمبر ١٩١٦ دعي إلي حفل عشاء ودس له السم في الطعام والنبيذ فلم تبد عليه أي علامة من علامات الإعياء أو التعب؟! فما كان من الأمير يوسوبوف إلاّ أن انهال عليه بوابل من رصاص مسدسه وبدلاً من أن يسقط راسبوتين صريعاً انقض عليه كالوحش الكاسر محاولاً تحطيم عنقه فعاجله برصاصة أخرى قضت عليه وسقط بعدها للمرة الأخيرة حيث حملت جثته إلي النهر وألقيت به ولم تكتشف إلاّ بعد عدة أيام وتم دفنه في ٢١ ديسمبر ولم تعلن وفاته رسمياً إلاّ في ٣١ ديسمبر ١٩١٦ ليسدل بذلك الستار على ظاهرة غير عادية لم يتمكن أحد من كشف غموضها أو سر قوتها حتى الآن !.

***

حلم الذهب أو الكيمياء القديمة	**كانت الكيمياء القديمة أو ما يسمى بالخيمياء تهدف إلي غايتين: تحويل المعادن الرخيصة إلي ذهب بالإضافة إلي اكتشاف إكسير الحياة الذي يقضى على المرض ويطيل الحياة إلي مالا نهاية .**

وهو ما يعنى أن المشتغل بالخيمياء كان يبحث عن الغنى والخلود وقد ظل الإنسان يحلم بتحقيق معجزات الخيمياء منذ فجر التاريخ أيام الفراعنة وحتى منتصف هذا القرن العشرين الذي نعيش فيه.

فمنذ أيام الفراعنة قبل ٥٠٠٠ آلاف سنة قبل الميلاد حاول الكهنة والكيميائيون تحويل خامات المعادن الرخيصة إلي معادن نفيسة مثل الذهب والفضة ، ولقد نجحوا في علم التعدين فعرفوا كيف يأخذون الصخور ويطحنونها ثم يضعونها مع أنواع معينة من التربة أيضا في أفران ويصهرونها للحصول على معادن نفيسة براقة كالنحاس والقصدير.

أما الذهب فكان ثمينا بسبب ندرته وكان مقياساً للغنى والثروة ويبدو كهدية من الآلهة تمنحها للمحظوظين ، من الملوك والأمراء والأثرياء . فالذهب بعكس سائر المعادن لا يفقد بريقه مع الأيام ولا يصدأ ، وكان الملوك يطبعون صورتهم على النقود الذهبية لتخليد أسمائهم والتدليل على قوتهم ونفوذهم.

ومنذ عرف الفراعنة كيف يحولون الرمل المخلوط برماد الخشب إلي زجاج براق يصنعون منه الحلي والألماس ، وهم يبحثون عن سر تحويل المعادن إلي ذهب نفيس ، كما أن تاريخ الخيمياء عرف علماء أذكياء نابغين كما عرف الدجالين

والمشعوذين وقد اهتم بعلم الخيمياء ملوك سذج مثل الملكة اليزابيث الأولى كما اهتم طغاة جبابرة مثل أدولف هتلر.

وفى القرن السابع الميلادي شهد العالم انطلاق المسلمين من شبه الجزيرة العربية ووصولهم إلي مكتبة الإسكندرية العظيمة التي عثروا فيها على ثروة من العلوم والمخطوطات لا تقدر بثمن وكان بين تلك المخطوطات كتابات أرسطو التى كتبها قبل نحو ١٠٠٠ عام وذكر فيها أن كل المواد والأشياء مكونة من أربعة عناصر التراب والهواء والماء والنار وان تغيير نسبة مزج هذه العناصر يغير في طبيعة المواد ومسمياتها وقد ترجم العرب أعمال أرسطو وغيرهم من فلاسفة اليونان ونقلوها معهم إلي أسبانيا عندما فتحوها، حيث انتقلت من هناك إلي جميع أنحاء أوربا.

وفى عام ١١٤٤ قام العالم الإنجليزي روبرت أوتشستر بنقل نظريات أرسطو المضللة حول تحويل المعادن ، وشغل العلماء في علم زائف لا طائل منه وعلاوة على تحويل المعادن الرخيصة إلي ذهب كان أرسطو قد بشر كذلك بإمكانية العثور على إكسير الحياة أو حجر الفلاسفة كما سمّاه العرب لعلاج الأمراض وإطالة العمر ، وقد قضى العلماء مئات السنين يبحثون دون جدوى عن أسرار الخيمياء لتحقيق أحلامهم بالغنى والخلود ومن الذين آمنوا بعلم

الخيمياء في القرن الـ١٣ العالم الإنجليزي النابغة فرانسيس بيكون غير انه مات دون أن يشهد أي نجاح لما كان يرجوه علم الخيمياء.

وقد خصصت الملكة اليزابيث الأولى عالما خاصا بها وكلفته بالاشتغال في تحويل المعادن إلي ذهب وظلت تحلم بالثروة والغنى حتى يوم وفاتها عن ٧٠ عاما ، كما إن فيردناند الثالث أمبراطور النمسا في القرن الـ١٧ كان واثقا من أنه يستطيع الحصول على الذهب لتمويل حربه الطويلة ضد الألمان والهولنديين والسويديين بعد أن نجح علماؤه في الحصول على كتلة من الذهب البراق مستخرجة من صهر الرصاص والكبريت في فرن متوهج بيد أن فيردناند اضطر إلي مصالحة خصومة بعد إفلاس إمبراطوريته ذلك أن ما صنعه كيميائيو فيردناند لم يكن ذهبا وإنما شيئا يبدو كالذهب.

وكان الطبيب السويسري والكيميائي البارع براسيلوس الذي توفى عام ١٥٤١ قد حاول أن يضع حدا للجهود الضائعة بحثا عن معجزات الخيمياء ، فنادى بضرورة التخلي عن محاولات تحويل المعادن إلي ذهب والتركيز على البحوث الطبية وتحسينها لخدمة الناس ومحاربة الأمراض ، وقام للتعبير عن رأيه بحرق الكتب التي تتحدث عن الخيمياء ومعجزاتها في ساحة المدينة.

أما العلماء المحدثون فقد عادوا وأحيوا بأبحاثهم علم الخيمياء بدلا من الإجهاز عليه نهائيا ، وذلك عندما استطاع عالم الفيزياء

البريطاني أرنست رذرفورد أن يحول عام ١٩١٩ مادة إلي مـــــادة أخرى ، لقد حوّل النيتروجين إلي أكسجين و هيدروجين بعد أن قذف النيتروجين بالإشعاع. غير أن عمل رذرفورد احتاج إلـــي كميــات هائلة من الطاقة للحصول على ذرات قليلة فقط من الأوكســـجين ، بيد أن رذرفورد نجح أخيرا في إرساء مبدأ تحويل مادة إلي أخـــرى دون الحاجة إلي السحر أو إجراء العمليات السرية الغامضة.وبعـــد عمل رذرفورد بخمس سنوات نجح كيميائي في السادسة والثلاثيـــن من العمر في ميونخ اسمه فرانز تاوسند مـــن تحويـــل الكوارتـــز وأكسيد الحديد إلي ذهب ، وعندما سمع النــــازيون بـــهذا الإنجــاز استدعوا تاوسند وكان هتلر يومها في السجن بتهمة التـــآمر ضـــد الحكومة عام ١٩٢٤ ، وطلبوا منه إجراء تجربة أمامهم ، وقد تمت التجربة بنجاح في أحد الفنادق ونتج عنها كمية من الذهب قـــدرت بنحو ٧ جرامات تقريباً وقد شكل النازيون مع تاوسند يومها شـــوكة مساهمة غذوها بنحو ٥٠٠٫٠٠٠ مارك لإنتاج الذهـــب ، غـــير أن الشركة أفلست بعد سنتين وقد حاول تاوسند أن يعيـــد الثقـــة إلـــي الشركة فأنتج في ليلة واحدة في ١٩٢٨/٦/٢٦ نحو ٧٣٠ جرامــــا غير أن تلك الكمية كانت آخر كمية ينتجها نظرا لأنه تم بعد ذلـــك القبض عليه بتهمة الاحتيال ، وسجن لمدة ٤ سنوات وعندما جـلعت الحرب العالمية الثانية دمرت كل أوراق تاوسند وأغلق الملف مـــن جديد.

ظاهرة الأموات الأحياء فى الديانة الودونية

في عام ١٩١٨ تقدم إلي شركة السكر الأمريكية الهاييتيه تسعة فلاحيــن للعمل في جنى محصول قصب السكــر ، وكان الفلاحون بحـــالة يرثى لها وتـــدعو إلي

الأسى ، والحسرة ، وكانوا يقفون صامتين بثيابهم الممزقة والبؤس باد عليهم ، تقدم رئيس العمال تى جوزيف وزوجته كونستانس من مسؤول الشركة وطلبا منه أن يقبل هؤلاء الفلاحين الخجولين القادمين من قرية قبلية بعيدة، ولما استفسر عن صمتهم أخبره جوزيف بأنهم لا يعرفون الحديث الاّ بلهجتهم المحلية.

وقبل مسئول الشركة أن يجربهم ذلك اليوم ، واتفق مع جوزيف على أجر كان الأخير سيحتفظ بجزء منه لنفسه عمولة ، وفى مساء ذلك اليوم أثبتت المجموعة جدارتها بالعمل ، حيث أنها عملت طوال اليوم بجد ولم تتناول طعامها إلاّ في المساء بعد انتهاء العمل ، وبعد أن جمعت من قصب السكر كمية لا تضاهيها كمية أخرى. وظلت المجموعة تعمل كذلك طوال الأسبوع في ظروف جوية صعبة مفعمة بالحرارة والرطوبة دون كلل أو ملل.

وفى عطلة نهاية الأسبوع توجه جوزيف إلي عاصمة هايتى بورتو برنس ، لينفق الأموال التي جناها من عرق العمال ، ورأت زوجته أن تصطحب المجموعة الغريبة من العمال إلي ساحة الكنيسة في البلدة ، وهناك ابتاعت لهم بعض الحلوى ، وحالما وضعوا قطع البسكويت في أفواههم راحوا يبكون وينتحبون ثم هرعوا باتجاه الجبال ميممين صوب قريتهم.

وفى القرية استقبلهم أقرباؤهم وأصدقاؤهم بشوق وترحــــاب ، ذلك أنهم كانوا مجموعة من أهالي القرية الذين تم دفنهم قبل بضعــة شهور ، لقد كانوا في الحقيقة من أتباع الديانة الودّونية التي قد يعود بعض أمواتها إلي الحياة عندما تدخل قوة فـــوق طبيعيـــة أجســـاد الموتى فتحييها مـــرة أخـــرى. وقـــد أذاع هـــذه القصـــة الكـــاتب والمستكشف الأمريكي وليام سيبروك الذي عاش في هـــاييتى فـــي عشرينيات هذا القرن.

لقد ظلّت حدود هاييتى حتـــــى عـــام ١٨٤٤ تشـــتمل علـــى المستعمرة الأسبانية هسبانيولا التي نزل فيها كريستوفر كولومبوس أثناء رحلته لاكتشاف العالم الجديد. وكان سكان جزيرة هاييتى مـــن هنود الكاريبي ، لكن الأوربيون استأصلوا طوال الخمسين سنة التي تلت وصول كولومبوس إلي الجزيرة جميــــع الســـكان الأصليـــن وأحلوا محلهم العبيد الأفريقيين ، وقد استقدموا مع هـــؤلاء العبيـــد أيضا إيمانهم بالسحر والشعوذة الذي تطور في هاييتى إلي نوع مـــن الديانة عرفت بالديانة الودونية.

وقد تعاقب على جزيرة هاييتى عدة مستعمرين ، فبعد الأسبان جاء الفرنسيون الذين أخذوا يستغلون جهد العبيد في استثمار خيرات الجزيرة من سكر وبن وقطن ، ومع مجيء الثورة الفرنســـية عـــام

١٧٨٩ كان يعيش في هاييتي ٤٠ ألف فرنسي يستغلون نحو نصف مليون عبد يعملون في الجزيرة.

وكما تحرر الفرنسيون في وطنهم الأم نتيجة لمبادئ الثـــورة الفرنسية ، فإن سكان هايتي أخذوا يتطلعون بدورهم إلي التحـــرر والاستقلال.

ثار عبيد هاييتى بزعامة كاهن غامض وساحر وطبيب يدعـــى بوكمان. الذي أخذ يعزز عقيدة الودونية في نفوس عبيد الجزيـــرة ويرسلهم لمحاربة الفرنسيين دون خوف من الموت لأنهم ســـيحيون بعد موتهم حسب عقيدتهم وبقدر ما أبدى الفرنسيون من وحشية فـــي قمع الثورة ، فإن عبيد هاييتى ردوا الصاع صاعين للفرنسيين وفى نهاية الأمر حصلوا على استقلالهم.

غير أن الجزيرة شهدت حرباً أهلية بعـــد الاســـتقلال نتيجـــة التدخلات الفرنسية والبريطانية في شؤون هاييتى ، وأخيراً خضعت الجزيرة عام ١٩١٥ وحتى عام ١٩٣٤ لحكم الولايـــات المتحـــدة الأمريكية ، ولكن عدم الاستقرار استمر في الجزيرة طـــوال فـــترة الأربعينات والخمسينات ، وفى عام ١٩٥٧ نجح الطبيب فرانســـوا دوفاليه فى إعتلاء السلطة فـــي هـــاييتى وكـــان معروفـــا هنـــاك باسم " بابا دوك " .

فقد استغل دوفاليه الديانة الودونية لتوحيد شعب الجزيرة وتحول عام ١٩٦٤ إلي دكتاتور متسلط . وأعلن نفسه رئيسا مدى الحياة . وترك شعبه يغرق في الجهل والخرافات ، كما أعلن نفسه رئيسا لكهنة الديانة الودونية واستعان بالشرطة السرية التي كان أفرادها يعملون كذلك باعتبارهم أطباء وسحرة ، ولقد عزز بابا دوك الديانة الودونية وشجع شعبه على الأيمان بعقيدتها وأعلن أنه يمتلك قوى خارقة هو ورجاله بغرض إرهاب معارضية. وهكذا انشغل سكان الجزيرة أثناء فترة حكمة بفكرة خروج الأهل والأحباب من القبور ، فأخذوا يكدسون الحجارة والصخور فوق كل قبر ، ويحرسون القبر عدة أسابيع حتى لا تدخله الأرواح وتحي الميت. وفى حالات أخرى أخذ أقرباء الميت يحقنونه بالسم أو يطلقون عليه النار بعد موته حتى لا يخرج من القبر ويعيش ثانية مسلوب الإرادة ومعطل التفكير.

بيد أن هذه التصرفات أخذت تقابل بالاستياء والاستنكار في الغرب وخاصة أمريكا التى هدد رئيسها فى ذلك الوقت (جون كيندى) في عام ١٩٦٢ بقطع المعونة عن هاييتى إن لم يقلع دوفالية عن سياسته ويعطى شعبه حريته وحقوقه الإنسانية ، ولكن اغتيال كيندى بعد ذلك عزز مكانة دوفالية وسيطرته على هاييتى وشعبها بحيث ازدادت الأمور سوءا.

وفى عام ١٩٧١ توفى فرانسوا دوفاليه فخلفه ابنه جان كلود البالغ من العمر ١٩ عاما ، وأعلن نفسه زعيماً لهاييتي ولقب نفسه بلقب " بيبى دوك " وكان الغرب يأمل أن تتحسن الأحوال بعد موت دوفاليه الأب . غير أن الأمور ازدادت سوءاً مع الابن واستمر الحكم يعتمد على السحر وإرهاب الشعب بالقوى الخارقة ولما هدد الرئيس الأمريكي جيمى كارتر بقطع المعونة مجدداً عن هاييتى واستنكر تصرفات عائلة دوفاليه ردت العائلة في عام ١٩٧٨ بدفن عجل حي على هيئة الرئيس كارتر في حفرة بوسط العاصمة بورتوبرنس كتعويذة ضد كارتر ، وكان من وراء هذا العمل أرملة بابا دوك السيدة ماما دوك دوفاليه.

وبعد عامين من ترك كارتر للبيت الأبيض بعد أن فشل في تجديد فترة رئاسته ، قام عالم في جامعة هارفارد يدعى ى. واو دافيس بدراسة حول الأموات الأحياء في هاييتى حيث تبين له صحة الأمر ، وهناك أشخاص عادوا إلي الحياة فعلا بعد دفنهم.

قابل دافيس أحد العائدين من غياهب القبر وكان يدعى كلارفيوس نارسيس ، ففى عام ١٩٦٢ أعلن مستشفى البرت شفيرز في العاصمة بورتوبرنس وفاة نارسيس غير أن الأخير عاد للظهور حيًا في قريته بعد سنتين.

وأشار نارسيس إلي ندبة في خده قال إنـــها مـــن اثـــر أحـــد المسامير التى تم تثبيتها في النعش ، كما انه اخذ أهل قريته ودلـــهم على قبره الذى خرج منه وجعلهم يشاهدون النعش الخالي ويقـــول نارسيس: إن اخوته قتلوه بعد خلاف على بيع الأرض ، وأن طبيبـــا ساحراً ساعده في الخروج من قبره بعد فترة من دفنه لا يســـتطيع تقديرها!!

كما التقى دافيس بامرأة قتلها ذووها بالسم لأنها رفضـــت أن تتزوج العريس التي اختاروه لها بعـــد أن وجدوهـــا حـــامل مـــن رجل آخر.

ويقول دافيس في تفسير مثل هذه الحالات بأن الوفاة لم تكـــن حقيقية ، وإنما كانت نوعاً من التخدير أو التعطيل المؤقت لوظيفـــة القلب والجهاز العصبي ثم قارن بين حالات وجدها فـــي هـــاييتى وحالات مماثلة حدثت في اليابان بعد تناول وجبـــة مـــن الأســـماك السامة (خاصة السمكة المنتفخة puff fish) حيـــث قـــرأ عـــن حالتين صحا الميت في كل منهما قبل دفنه.

بعد كشف الدكتور دافيس عن سر قيام بعض الموتى وعودتهم إلي الحياة تقلصت سلطة بيبى دوك دوفاليه وفقد الســـيطرة علـــى شعبه ثم هرب في عام ١٩٨٦من قصره في بورتو برنس ولجأ إلي فرنسا وبرغم التفسير العلمي التي قدمه دافيس لعودة بعض الموتـــى

إلي الحياة ، فإن الأطباء السحرة في هاييتى اجتمعوا بعـــد هــرب دوك وأنذروه بعدم العودة إلي هاييتى ثانية وإلاّ حولوه إلــي ميــت حي (زومبى Zombie) .

***

معجزات الشفاء

لا زال الكثير من الناس يؤمنون حتى يومنا هذا بالأطبـــــاء الروحييـــــن ومعجزاتـــــــهم فى شفاءالأمــــــراض المستعصية .

إذ أن هناك بعض الأشخاص الذين يمتلكون مثل تلك القوى الروحية في شفاء المرضى ، غير أن هناك أمكنة ومزارات لها القوى نفسها مثل بعض الأنهار والينابيع والعيون.

ومن اشهر حكايات الينابيع هذه ، حكاية فتاة فلاحة في سن الرابعة عشر من العمر ، تدعى برناديت سوبيروس . ففي عام ١٨٥٨ قالت برناديت: أنها رأت العذراء في منامها طوال ستة اشهر وهى تدلها على نبع سرى غير ظاهر بالقرب من مدينة لوردز الصغيرة في جنوب غرب فرنسا حيث تقيم ، وقد أفتى البابا في عام ١٨٦٢ بصدق هذه الرؤيا فاصبح نبع لوردز محجة للمرض من كل لون وشكل.

واليوم يقدر عدد الذين يحجون إلي هذا النبع بنحو ٣ ملايين شخص سنويا ، يقول بعضهم أنه شفى من مرضه.

وفى السبعينات من هذا القرن نقلت الأم ديردر ابنتها فرانسيس بيرنز(٣ سنوات) من أحد مستشفيات جلاسجو باسكتلندا إلي ذلك النبع وجعلتها تستحم في مائه فشفيت من السرطان الذى كانت تعانى منه ، وقد علق طبيب المستشفى التي كان يعالج الطفلة ويتابع حالتها قائلا: إن هناك بعض الأمراض يمكن شفاؤها نتيجة الأيمان الديني بالشفاء! ونحن لا نملك تفسيرا علميا لذلك ، وتسمى أمثال هذه الحالات بالمعجزة !.

أما فينياس باركهرست كويمبى من مين بالولايـــات المتحـــدة الأمريكية فكان يشفى مرضاه بوضع يديه عليهم مـــع شـــيء مـــن التأمل الروحي. كان كويمبى يؤمن بان الأمراض الجسدية تنتج عن اضطرابات عقلية وأن المريض يمكن أن يشفى نفسه بقوة التفكـــير الإيجابي وبالثقة والقدرة على الشفاء ، ولا شك في أنـــه اســـتطاع شفاء الكثيرين من مرضاه بهذه الطريقة. وقد أضافت تلميذته مارى بيكر إلي التأمل العقلي والإرادة القوية تأثير الأيمان الديني العميـــق والصلاة.

وفى ثمانينات القرن التاسع عشر كـــان المعـــالج الفرنســـي " إميل كو " يعالج مرضاه بالماء الملون والتنويم المغناطيسى،وكـــان يقول إن كل ما كان يفعله هو إثارة خيال المريض وجعله يؤمن بأن يأخذ دواء له قدرة على شفاؤه. ودعا طريقته بطريقـــة " الإيحـــاء الذاتي ". لقد كرس " كو " حياته لتعليم المرضـــى كيـــف يشـــفون أنفسهم بمجرد التخيل أن أمراضهم قد اختفت ، وزالت وكان شعاره التي يردده ويجعل مرضاه يرددونه في كل يـــوم وبكـــل طريقـــه " أحسن بالتحسن و أصبح أفضل ".

وقد قام طبيبان في أثناء الثلاثينات في مستشفى لندن باختبـــار طريقة " كو " في الإيحاء الذاتي فقسموا مجموعة من مرضـــاهم الذين يعانون من المرض نفسه إلي مجموعتين أعطوا المجموعـــة

الأولى دواء كيميائي مناسب لحالتهم وأعطوا المجموعة بيكربونات مع صودا ، ولدهشة الطبيبين تعافت المجموعة الثانية مثل الأولى وأفضل مما يدل على أن الشفاء تم دون دواء ، وهذا الأمر يثبت صحة إجراء " كو " ولجوئه إلي إعطاء مرضاه ماءاً ملونا كان يؤدى إلي شفائهم.

وهناك حالات أكثر غرابة مما تقدم ففي شهر ابريل سنة ١٩٧٣ توفى الرسام المشهور بابلو بيكاسو. وكان هناك مراهق غير معنى بالرسم يدعى ماثيوماننج أخذ بعد وفاة بيكاسو بعدة شهور يرسم اللوحات الفنية بأسلوب بيكاسو مدعيا أن روح بيكاسو توجه ريشته من وراء القبر ، وفى العام التالي نشر كتابه الأول وفيه رسومات منفذة بأسلوب عدد من الرسامين المشهورين الموتى مثل ليوناردو دافنشي وأوبرى بيرادلى وبودكلى. وكان ماننج يؤكد أن الرسومات في الكتاب ليست رسوماته وإنما هي من رسم الفنانين الموتى.

وفى عام ١٩٧٧ اكتشف ماننج أنه لديه موهبة في شفاء بعض حالات السرطان ، حيث كان يعجل في موت الخلايا السرطانية بمجرد اللمس وتركيز الذهن. وبعد فترة شرع ماننج في القيام بجولات علاجية عبر العالم فزار عام ١٩٨١ ألمانيا الغربية وطلب من الأطباء هناك فحص مرضاه قبل علاجه لهم وبعده ، وقد أفاد

تقرير كتبه الأطباء أن تحسن بنسبة ٩٥% طرأ على حالة المرضى الذين عالجهم ماننج.

وقال الجراح توماس هانسن في بريمن في مجال تعليقه على ذلك: أن ماننج استطاع تخليص امرأة من آلام روماتيزمية في كتفها خلال ١٠ دقائق، أما فريبورغ فقد شفى زوجة الطبيب المستشار أوتو ريخ من شلل يدها اليمنى خلال ٥ دقائق من العلاج أمام زوجها الذي غلبته الدهشة!.

وتبقى قصة المعالج الروحي المعجزة " خوسى أريغو " الذي لا يعرف شيئا عن الطب ، والذي أدهشت عملياته الجراحية البرازيليين في خمسينات وستينات هذا القرن. لقد اكتشف خوسى قدراته الخارقة عندما كان يجلس مع أقاربه وأصدقائه حول سرير زوجة أحد أصدقائه وهي تحتضر ، بيد أن خوسى قام فجأة وتناول سكين المطبخ وغرسها في جسد المرأة وأخرج ورما خبيثا بحجم حبة العنب وطرحه مع السكين في مغسلة المطبخ.

وقد ارتعب هو نفسه مما فعل ، غير انه عند استدعاء الطبيب أكد الأخير أن الكتلة الدموية في حوض المغسلة كانت ورما رحميا خبيثا ، ولدهشة الجميع قالت المريضة إنها لم تشعر بأي ألم ، كما إنه لم يحدث نزف دموي من الجرح بعد ذلك شفيت هذه المرأة تماما وعاشت بعد ذلك لفترة طويلة.

وقد انتشرت بعد ذلك أخبار معجزات خوسى أريغو فراح المرضى يؤمون منزله في المدينة الصغيرة كونغوناس دو كامبو بالمئات كان بعضهم يستسلم بسعادة لخوسى وهو يقطع لحمهم بسكين غير معقمة ثم يمسحها في قميصه. وكان يتأمل البعض الآخر لحظات ثم يكتب له العلاج المناسب ، وكثيرا ما كان يصف أدوية تبدو متعارضة غير أن المرضى كانوا يتبعون تعليمات خوسى ويشفون!

وقد ذاعت شهرة أريغو غير أن السلطات سجنته في عام ١٩٥٦ بتهمة تعاطى مهنة الطب دون ترخيص ، بيد أن السلطات عادت فأفرجت عنه بعد ستة شهور قليلة عقب تلقى رئيس جمهورية البرازيل عرائض الاسترحام من المرضى الذين شفاهم. وفى عام ١٩٦٤ عادت السلطات البرازيلية فقبضت عليه وسجنته بالتهمة السابقة نفسها ، لكنه خرج من السجن بكفالة ريثما تتم محاكمته ، وقبل موعد المحاكمة توجه القاضي فيليب ايمس إلي منزل أريغو وشاهده وهو يجرى إحدى عملياته الجراحية وعندما وصل القاضي إلي منزله عرفه أريغو وطلب منه أن يتقدم ليساعده في إجراء عملية لامرأة عمياء كانت تعانى من اعتمام عدستي عينيها الاثنتين وقال القاضي الذي امسك برأس المريضة " رأيته يمسك بأداة تشبه مقص الأظافر الصغير ، ويمسحه على قميصه

دون أن يعقمه. ثم رأيته يشق قرنية عين المريض التي كانت واعية غير أن عضلة واحدة في جسمها لم تتحرك ، لقد دهشت مما رأيت. بعد ذلك تلا أريغو نوعا من الصلاة ثم أمسك قطعة من القطن بيده فظهر عليها فجأة بضع قطرات من سائل قبل أن يمسح بها عين المرأة التي شفيت تماما وأصبحت مبصرة!!

وهكذا تم إسقاط التهمة الموجهة إلي أريغو الذي يتابع علاج مرضاه مرة بالعمليات الجراحية الغريبة وأخرى بجرعات كبيرة من الأدوية والتي يؤدى بعضها في الحالات العادية إلي الموت.

وعندما توفى (خوسى أريغو) في حادث سيارة عام ١٩٧١ أخذ معه أسراره وعلاقته الغامضة بالطبيب فرتز. ذلك أنه كان يقول دائما: أنه لا يملك أي مهارة طبيه ، بل ولقد شحب وجهه ذات مرة وأغمى عليه عندما شاهد نفسه في أحد الأفلام وهو يجرى عملية جراحية بسكين صدئه !.

وفى قرية صغيرة من قرى الدلتا في مصر لا زال الشيخ شيحه - وهو طالب طب لم يكمل تعليمه الجامعي - يقوم بعلاج المرضى الذين يأتون إليه بالمئات صبيحة كل يوم ، وفى الحالات المرضية التي تتطلب الجراحة يلمس المرضى بإصبعه فيشفون وكأنما أجريت لهم الجراحة!. وفى حالات أخرى يكتب العلاج المناسب لكل حاله وكان المرضى يشفون بتعاطي العلاج!.

فقـــــد الذاكرة

الذاكرة مخزن الخبرات والذكريات فى الدماغ البشرى ، وسجل حي لأحداث الماضي بما فيه من سعادة وفرح ومن حزن وألــم ، أحيانا نسترجـــع بعــض الأحــداث بوضـــوح وكأنـــها أمامنا الآن .

وفى أحيان أخرى تنسي بعض الأحـداث أو تراهـا بـاهته وكأنها وهم أو حلم هارب ، والى الذاكرة يرجع الفضل في اكتسابنا للعلوم والمعارف وفى امتلاكنا للحكمة وللقدرة على معرفة النـاس والأماكن والأشياء.

ما الذي يحدث داخل بنوك الذاكرة في الدماغ عندما يصـاب الإنسان بفقد الذاكرة ؟ في الحالات الطبيعية تقع خلايا الذاكرة فـي مؤخرة الدماغ فوق المنطقة التي تتحكم في البصر ، وتكون سليمة ومحمية داخل عظام الجمجمة، وهـي تتصـل بمراكـز التفكـير والإحساس والحركة والإدراك وبرغم من أن العلمـاء اسـتطاعوا تحديد موقع الذاكرة في الدماغ ، فهم مازالوا عاجزين عن تفسـير عملها المحفوف بالغموض.

إن قوة الذاكرة تختلف من شخص إلي آخـر ، وهنـاك مـن العلماء من يرى أن الذاكرة تقوى بالتمرين مثـل أي عضلـة فـي الجسم ، كما إن العلم عرف حالات نادرة تكون فيها الذاكرة مثـل الكاميرا الفوتوغرافية تسجل كل شيء وتستعيده بدقة متناهية. مثـل هذه الذاكرة كانت لدى موظفة بنك تم الاعتداء عليها في شقتها. لقـد هاجمها الجاني في الظلام ، وقبيل مغادرته الشـقة أضـاء النـور للحظات قليلة ليتمكن من سرقة النقود التي كانت في محفظتها ، لقـد قدمت الضحية لرجال الشرطة وصفا تفصيليا دقيقا لملامح الجـاني

مكّن أحد الرسامين من رسم صورة دقيقة له ساعدت في القبض عليه وتم الحكم عليه حينذاك بالسجن لمدة سبع سنوات.

أما أشهر من عرف بذاكرته الفوتوغرافية فهو راهب بوذي من بورما يستطيع قراءة ١٦,٠٠٠ صفحة من الصلوات البوذية غيبا ، وهناك أيضا المهندس دومينك أوبزيان من جلفورد بسوارى، الذى يستطيع التعرف عينيا على ٣١٢ ورقة من أوراق اللعب بعد عرضها عليه بشكل عشوائي مَرة واحدة لقد عرضوا عليه ست عبوات من أوراق اللعب خلال ساعة ونصف، فاستعادها بنفس الترتيب من الذاكرة خلال نصف ساعة فقط.

وعلى العكس من هؤلاء ، هناك أناس يفقدون ذاكرتهم وينسون الأحداث الهامة في حياتهم كما ينسون الأشخاص الذين يعرفونهم والمعلومات التي تعلموها . وينتج فقد الذاكرة عادة من تلف يصيب خلايا الذاكرة في المخ بفعل جرح أو صدمة قوية تصيب الجمجمة وخاصة عقب حوادث السيارات ، كما إن بعض الأفراد قد يتعرضون لفقد الذاكرة عقب صدمة عاطفية قوية أو حادثه رهيبه مفزعة.

ومن حالات فقد الذاكرة المشهورة التي شهدتها بريطانيا في عام ١٩٨٤ حالة المؤرخ الموسيقى وأحد المنتجين العاملين في محطة إذاعة الـBBC كليف ويرنج الذي أصيب بالتهاب فيروسي

في دماغه افقده الذاكرة وجعله يعيش فقط في الحاضر ، كان كليف على سبيل المثال – كلما رأى زوجته يهرع إليها والدموع في عينيه ويسلم عليها لاعتقاده أنه يراها بعد غيبة طويلة برغم أنه كان معها قبل دقائق.

ولم يفقد ويرنج قدرته على القراءة والكتابة وكان يكتب مذكراته اليومية لكنه كان ينسى ما يكتبه ولا يستطيع التعرف على خطه وكانت أكبر مشكلاته وجبات الطعام ، حيث كان يأكل كلما شاهد طعاما دون أن يذكر انه تناول وجبته قبل نصف ساعة أو حتى قبل بضعة دقائق. ولذلك أصيب بالسمنة نتيجة الوجبات العديدة التي كان يتناولها.

تشهد بريطانيا ما يقارب من خمسين حالة فقد ذاكرة سنويا ، كما إن هناك نحو نصف مليون ضحية لمرض الزهايمر الذي يصاحبه فقدان للذاكرة أيضا ، غير أن هناك بعض الأمل الذي يلوح في الأفق ، في عام ١٩٨٨ تطوع البروفسير مارتن الحائز على جائزة نوبل لتجربة عقار الذاكرة THA بعد أن أصيب بمرض زهايمر وأخذ يفقد ذاكرته شيئا فشيئا ، لقد كان مارتن ينسى رقم القطار الذي يأخذه إلي منزله فيركب القطار الخطأ ، ويتوه بين محطات القطار قبل أن يستدل فجأة ، وربما بالصدفة على رقم القطار الصحيح.

ويأمل العلماء في التوصل خلال عقد التسعينات إلي تركيب عقار هرموني ينشط الذاكرة ويشفى حالات فقدانها ، بل ويؤثر على قدرات الإنسان العقلية والعاطفية ، ويتنبأ البحاثة الهولندي البروفسير ديفيد دى ويد أن اكتشاف عقار جديد لعلاج قصور وضعف الذاكرة سوف لا يشفى حالات فقد الذاكرة وحسب ، وإنما سيستعمل كذلك لتقوية ذاكرة الناس العاديين الأصحاء ، وقد تم في هولندا بالفعل اكتشاف هرمون ACTH 4.9 الذي أثبت فعاليته في تحسين الحالة النفسية للمصابين بالإحباط والكآبة كما أثبت هذا الهرمون أنه يزيد من فعالية التركيز والدافعيه لدى الأفراد.

وفى كندا تم استخدام هرمون الأكسيتوسينى باعتباره " عقارا للعشيان " والأكسيتوسينى هرمون يفرز في المرأة بشكل طبيعي لتخفيف آلام الولادة وهو يجرب اليوم في حالات فقد الذاكرة ، ويقول الدكتور دى ويد وكأنه على يقين مما يتنبأ به " سوف نتمكن في المستقبل من التأثير على جميع العمليات في الدماغ ، وإذا كان نقص الهرمونات هو المسئول عن ضعف الدماغ وشيخوخته فبإمكاننا تعويض تلك الهرمونات وتجديد شباب الدماغ ! "

***

التنويم المغناطيسى

بدأ الأطباء وعلماء النفس في أوربا بدراسة موضوع التنويم المغناطيسي بعمق في القرن الثامن عشر ، ففي هذا القرن برز عالـــــم التنجيم الدكتور النمساوي فرانز ميسمر وقال:

بأن النجوم البعيدة تؤثر بقوتها المغناطيسية الضعيفة في سلوك الإنسان وإذا كان الأمر حقا كذلك فإن تعريض المرضى لقوى مغناطيسية توضع مباشرة فوق رؤوسهم يمكن أن تأتى بنتائج أكثر عمقا ووضوحاً.

فقد أثارت القوة المخيفة للتنويم المغناطيسي بغموضها المحير الجدل عبر القرون بين الأطباء وعلماء النفس ورجال السلطة في كثير من البلدان. وكان السؤال هل هو حقا قوة يمكن استخدامها لأغراض الخير أو الشر؟ أم هو مجرد متعه غير مؤذية تمارس على خشبة المسرح للتسلية ؟ فقد أدان الخبراء العلميين في الجمعية الطبية البريطانية التنويم المغناطيسي باعتباره أمراً محفوفاً بالمخاطر ، بينما اعتبرته سلطات طبية أخرى أداة نفسية قوية يمكن استخدامها في شفاء المرضى.

كان الدكتور ميسمر يعالج في عيادته بفيينا حالات الهستيريا والجنون والاضطرابات العصبية ويعلن عن شفاء أمثال هؤلاء المرضى بعد تعريضهم لحالات شبيه بحالة الحلم حيث يكون المنَّوم في نصف وعيه. وأدرك د. ميسمر أنه بالإمكان الاستغناء عن استخدام القضبان المغناطيسية ، عندما أخذ يحصل على النتائج نفسها باستخدام أنامله وصوته الهامس في الضوء الخافت ، وهنا

قال ميسمر أن هذه ليست قوة مغناطيسية وإنما هي قـــوة غامضـــة تسرى بينه وبين مرضاه ، وأسماه " المغناطيسية الحيوية ".

وبعد أن منع د. ميسمر من ممارسة عمله في فيينا من قبـــل السلطات الأمنية ، فقد انتقل إلي باريس في عام ١٧٧٦ حيث أثـــار أسلوبه في العلاج عاصفة قوية في العاصمة الفرنسية ، وبدأ العديـد من أتباعه استخدام الميسمرية في علاج المرضى ، مما حد بعلمــاء وأطباء الأكاديمية الفرنسية إلي إجراء التحقيقات في الموضوع بنــاء على طلب الملك لويس الســادس عشـــر. وتقـــرر بعدهــا حظـــر الميسمرية لخطرها على المواطنين الفرنسيين.

وانتقل ميسمر في عام ١٧٨٩ إلي سويســـــرا حيــث توفـــى كشخص مغمور، ولكنه ظل يؤمن حتى آخر أيامه بأنه اســتطاع أن يكشف عن القوى الكامنة في العقل البشرى لخير الإنسانية.

ومع ذلك ظل هناك أطباء يؤمنون بقوى التنويم المغناطيســـي وتأثيره ، فكان هناك على سبيل المثال د/ رودلف هايدنـــهن الــذي كان يختم محاضراته بتنويم بعض زملائـــه المرموقيـــن ويجعلـــهم يمشون على أربع وينبحون كالكلاب !.

وقد تلقت عروض التنويم المغناطيسي ضربة قوية في عــــام ١٩٥٢ عندما أقر البرلمان قانونا بمنع عروض التنويم المغناطيســي

على خشبة المسرح وقد استمر ذلك المنع ساري المفعول حتى عـام ١٩٨٨.

ولكن ممارسات التنويم المغناطيسي اسـتمرت فـي ميـادين أخرى في كثير من البلدان ، في الولايات المتحدة ، كـانت دائـرة الشرطة في مدينة بوسطن تستعين بوحـدة مـن خـبراء التنويـم المغناطيسي وقد أفاد خبراء هذه الوحدة أنهم كانوا في ٧٥% مـن الحالات يحصلون على الشهود أو الضحايا على أدلة جديدة أثنـاء عملية التنويم المغناطيسي ، ويفسَّر المفتش بـاتريك بـرادى تلـك النتائج فيقول " إن شهود حالات العنف وضحاياها يميلون بطريقـة آلية إلي نسيان ما شاهدوه أو خبروه من عنف ويحاولون محوه مـن أذهانهم ، وذلك في محاولة طبيعية لحماية ذواتهم من الاضطرابـات النفسية والفزع العاطفي".

إذ أن عمليات التنويم المغناطيسي تزيل العوائق العقلية غـير الواعية وتجعل المشاهد يتذكر ما يحاول نسـيانه ، وقـد حصـل الممارسون من ضحايا العنف أثناء تنويمهم على أوصـاف الجنـاة على رقم سيارة كان قد نسي ، ويضيف رجل الشرطة النيويوركـي السيرجنت تشارلز الذي استخدم التنويم المغناطيسي في أكثر مـن ٤٠٠ حاله أثناء خدمته فيقول:

" يجب تسجيل أقوال الشاهد المنَوم على أشرطة فيديو لعرضها على المحكمة ، لإثبات أن الشاهد تكلم وحده دون أي تدخل أو إيحاء من المنوّم والاّ فإن الأدلة أو الشهادة تكون غير مقبولة وترفض".

ومن الطرائف التي تروى في هذا المجال أن مدرب قيادة السيارات دوج بياتى كان ينوم تلامذته قبيل تقدمهم لإجراء الفحص ليحافظوا على هدوء أعصابهم حسب وجهه نظره ، ويبدوا أن طريقته تلك كانت فعَّاله بحيث أن ٨ من كل ١٠ من تلامذته كانوا ينجحون في الاختبار بعد تنويمهم مغناطيسيا ، كما إن الممثلة الكوميدية والكاتبة ليلى توميلز قالت إنها نوَّمت نفسها مغناطيسيا لكي تنهى كتابة سيناريو أحد أفلامها بعد طول تعثر ، ومن عجب أن الشيء نفسه فعله الممثل سيلفستر ستالونى لكي يتغلب على خجله ويكتب سيناريو أفلام رامبو الناجحة جماهيريا. وكان محمد على كلاى يلجأ إلي نوع من التنويم المغناطيسي قبل دخول المباريات العنيفة.

ويقول مارك أوريف في كتابه " القدرات الخفية " أنه في السابق كان يعتقد بأن الممارسات التي أحاطت بالتنويم المغناطيسي أدت إلي التسبب بصدمات عنيفة على الصعيد العاطفي ، .. لكن

في الوقت الحالي فقد تمت السيطرة على ظاهرة التنويـــم وأصبـــح بالإمكان ممارستها دون خشية من الأذى.

ويقول " ولا يجب الاعتقاد مطلقا بأنه فيما لو ترك المريـــض نائما تنويما مغناطيسيا فإنه لن يستيقظ أبدا.. والحقيقة أنـــه ســـوف يفيق من تلقاء نفسه بعد مضى ساعة من الزمن وهو يشـــعر بأنـــه مرتاح تماما ! ".

***

قبيلة الدوجون

يبلغ عدد أفراد قبيلة الدوجون نحو ٢ مليــون نسمــة ، يعيشــون عيشــة بدائية في جمهورية مــالي الأفريقيــة ، لــم تتغيــر حياتهم الاّ قليــلاً عبرالقرون .

فهم ما زالوا يرعون الماعز ويزرعون الحبـوب ويجمعـون الحطب ليشعلوا النار في سهل باندباجارا. علـى بعـد ٣٠٠ميـلا جنوبي تمبكتو ، حيث قطن أسلافهم قبل ٥٠٠ سنة مضـت، وهـم يعبدون في السماء ، ويخصون مجموعة سيريوس النجمية بتقديـر عظيم ، وسيريوس SIRIUS وهو النجم البراق في السماء الـذي سماه الفلكيون العرب الشعرى اليمانية.

يعتبر سيريوس من أقرب النجوم إلي الأرض ،حيث لا يبعـد عنها سوى ٧,٨ سنة ضوئية ، وبريقه يفوق بريق سائر النجـوم ، وقد عبد هذا النجم قبائل أخرى غير قبيلة الدوجون ، كما استعان به قدماء المصريين في تقويمهم السنوي ومعرفة ميعاد فيضان النيـل في كل سنة ، بيد أن إيمان قبيلة الدوجون وعلاقتهم بالنجم سيروس أمر فريد من نوعه ، فمنذ خمسة قـرون وهـم يعبـدون ، ليـس سيروس وحده ، وإنما النجم القزم الأبيض المصاحب لـه أيضـا "سيريوس ب " الذي لا يرى بالعين المجردة ، والعجيب في الأمـر أن أسلاف قبيلة الدوجون عرفوا مواقع سيريوس ب بالضبط بـدون استخدام التلسكوبات القوية أو الآلات الفلكية الدقيقة المعروفة الآن.

هذا ولم يعرف الفلكيون في أوربا وأمريكـا بوجـود النجـم سيريوس ب الآ في القرن التاسع عشر ، فـي عـام ١٨٦٢ كـان

الفلكي الأمريكي ألفان جراهام كلارك يجرب تلسكوب جديدا عندما اكتشف بالقرب من سيريوس نجما صغيرا أبيضا سمّاه سيريوس ب وبعد ٦٠ سنة اكتشف العالم الإنجليزي السير أرثر أدينكتون في عام ١٩٢٨ معلومات جديدة عن سيريوس ب وحجمه ، وتذبذب ضوئه الأبيض ، وتأثير جاذبيته على نجم سيريوس المجاور له ، وأخيرا تم في عام ١٩٧٠ رصد وتصوير النجم سيريوس ب بواسطة عدسات التلسكوبات الحديثة المعقدة والكاميرات الشديدة الحساسية.

كل هذه الأمور كانت بالنسبة لقبيلة الدوجون أخباراً قديمة أكدت ما سبق أن عرفوه ليس أكثر ، لقد عرفوا منذ قرون بوجود سيريوس ب وكانوا يدعونه باسم " بوتولو". وكانوا يعرفون أنه يدور حول سيريوس في مدار بيضاوي مرّه كل خمسين سنة فكيف توصلت هذه القبيلة البدائية إلي معرفة ما لم يعرفه الفلكيون الآ منذ وقت قريب ، وبعد الأستعانه بمعطيات التكنولوجيا الحديثة ؟.

يدّعي أفراد قبيلة الدوجون أن معلوماتهم مستمدة من زوار غرباء قدموا من كوكب قريب من النجم سيريوس وعلموهم أسوار النجوم والكواكب وأعطوهم عناصر حضارتهم.

في عام ١٩٣١ قدم إلي سهل باندياغارا عالمان فرنسيان مرموقان ، هما مارسيل كريول وجيرمين ديترلن ، لاجراء دراسة

حول قبيلة الدوجون، وكان في نيتهما قضاء بضعة سنوات لدراسة أصول حضارة تلك القبيلة ، غير أنهما قضيا هناك ٢١ سنة.

وقد لحظا منذ وصولهما عمق المعلومات التي يعرفها أفراد قبيلة الدوجون عن أسرار النجم سيريوس والنجم غير المنظور سيريوس ب وعن نجم ثالث لم نكتشفه حتى اليوم ، ووجدا رسومات لرموز تلك النجوم على ثيابهم وأدواتهم الفخارية ، كما وجداها محفورة ومنقوشة على الخشب والجدران الطينية في معابدهم.

لقد أحتاج مارسيل كريول إلي ١٥ سنة ليحوز على ثقة زعماء قبيلة الدوجون ، حيث سمحوا له بحضور احتفالاتهم الدينية السرية وأطلعوه على القصيدة التي جاء بها الزائر الغريب من النجم سيريوس ، وقد أطلقوا على الزائر اسم " النومو – The Nomno وكان النومو – حسب قولهم كائنا فضائيا غريب معد للحياة في الماء والبر (برمائي) وقد جاء لنشر المدنية على الأرض وهو الذي علمهم أسس حضارتهم. وبعد عشرين سنة من البحث في تاريخ الدوجون نشر العالمان الفرنسيان نتيجة أبحاثهم في المجالات العلمية وكان عنوان البحث A Sudanese Sirius System وقد أنهيا بحثهما بتعجبهما عن

كيفية معرفة تلك المعلومات الفلكية بدون أية أدوات للرصد وتبقى معضلة هذه المعلومات الفلكية من غير حل.

وعندما توفى مارسيل كريول في مالي عام ١٩٥٦ . شيع جثمانه نحو ربع مليون نسمة من أفراد قبيلة الدوجون أما زميلته جرمين ديترلن فقد غادرت إفريقيا ورجعت إلي باريس لتشغل منصبا علميا رفيعا ، وفي عام ١٩٦٥ نشرت مقاله حول تجربتها الأفريقية لفتت نظر العالم الأمريكي روبرت تمبل الذي كان مرجعا في الدراسات الشرقية والسنسكريتيه ، فسافر إلي باريس لمقابلة ديترلن ، ومن ثم اتجه إلي مالي بهدف الكشف عن أسطورة الزوّار القادمين من الفضاء ، وقد اعترف فيما بعد بقوله:

" وكنت مخدوعا في البداية استقصى وأنا نزّاع للشك وكنت أبحث عن أية خدعة أو تزوير لاعتقادي بعدم صحة الأمر غير أنى بدأت اكتشف في كل يوم أدلة ومعلومات سليمة مطابقة لأقوالهم "

لقد شرح رجال القبيلة البدائية لتمبل كيف حط النومو بسفينته الفضائية " أرك – ark " في الجزء الشمالي الشرقي من أرضهم ووصفوا له صوت هبوط مركبة الفضاء والغبار الذي أثارته لدى هبوطها. ووصفوا النومو باعتباره " مدبر الكون " وحامى المبادئ الروحية ؟! ومنزل المطر وسيد الماء! وقد تحدث تمبل عن ذلك في الكتاب الذي نشره عام ١٩٧٦ عن السر الغامض لسيروس.

وقد ذكر تمبل في كتابه أيضا ما أخبره به كهنة الدوجون حول ما يعرفونه عن النظام الشمسي وعن جفاف سطح القمر ورسموا له على الرمل مخططا للمشترى والأقمار الأربعة التي تدور حوله ، وقالوا إن أسلافهم عرفوا هذه الأقمار قبل أن يشاهدها جاليليو بتلسكوبه ، وحمل كاهن حبة قمح وقال إن سيروس ب يشبهها غير أن كل سكان الأرض جميعا لا يستطيعون حملها "

ووصف ذلك الكاهن نجما صغيرا آخر بالقرب من سيروس غير سيروس ب الثقيل وهو أجف من الأخير بأربع مرات.

لقد أصابت معلومات الدوجون الفلكية تمبل وغيره من البحاثة بالحيرة هل استمد هؤلاء معلوماتهم من الاستعمار الفرنسي في مطلع القرن العشرين أم من الجامعة الإسلامية التي ازدهرت في العاصمة تمبكتو خلال القرن السادس عشر؟

ويشير تاريخ قبيلة الدوجون إلي إنها سكنت في الأصل ساحل إفريقيا الشمالي بمحاذاة شواطئ الجزائر وليبيا ومصر ، ولذا فهناك احتمال بأنها احتكت بحضارات حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومعلوم أن تلك الحضارات غنية بالأساطير المتعلقة بكائنات برمائية غريبة فالأساطير اليونانية القديمة أشارت إلي كائنات قطنت جزيرة رودس وكانت مغطاة بالحراشف على هيئة نصف إنسان ونصف سمكة ، وتحدثت الأساطير البابلية عن كائنات بشرية سمكية علمت

البابليين: " كل ما من شأنه تلطيف الأخلاق وتهذيب النفوس وأنسنة البشر ! "

هذه الأساطير اليونانيّة والبابليّه تتفق مع الأوصاف التي ذكرها كهنة الدوجون ، والفرق الوحيد الذي يصر عليه أفراد الدوجون قولهم بأن الكائن البرمائي الذي علمهم علومهم الغامضة لم يأت من أعماق المحيط ، وإنما من الفضاء الخارجي ، كما إن قبيلة الدوجون حددت المكان الذي قدم منه النومو ، عندما ذكروا أن الزائر الغريب قدم من كوكب غير معروف يدور حول نجم صغير أحمر غير معروف أيضا من مجموعة الأجرام المحيطة بالنجم سيريوس.

هل هي أسطورة خرافية .. أم أن هناك نجما خفيّا يدور بصمت حول سيريوس ؟ وهل ستكشف تليسكوباتنا الموجهة نحو مجموعة سيرسوس هذا النجم الخفي وكوكبه المجهول خلال السنوات القليلة القادمة ؟ وماذا سيكون رد فعل العلماء المتشككين حيال رجال قبيلة الدوجون الذين سوف يهزون عندئذ أكتافهم بلا مبالاة ويقولون " لقد قلنا لكم ذلك ! ".

***

الوخز بالإبر

لقد عرف الإنسان ممارسة الوخز بالإبـــر منذ ٥٠٠٠ سنة مضـــت ، فقبـــل اكتشــــاف المعــــادن اكتشــــف الأطبــاء الصينيـــون إبــــرا مـــن الصـــوان والعظـــام والقصـــب .

وكان اكتشاف مفعول الوخز بالإبر صدفـــة عندمـا لاحـظ الأطباء الصينيون أن جرحى الحرب المصابون بسهام الخـــيزران كانوا يشفون من أمراض طالما عانوا منها قبـــل إصابتـــهم بتلـك السهام، وبدراسة حالات عديدة تمكن الأطباء من تحديد قنوات تحت الجلد تكمن فيها القوى الحيوية التي تتحكم بصحة الجسد ، وقد تــم تدوين تلك الخبرات قبل نحو ١٥٠٠ سنه فـــي كتــاب Yellow Emperor's Book Of Internal Medicine ويتكـــون هــذا الكتاب من ٣٤ مجلدا تشمل حوارا مطولاً بين الإمبراطور هوانـــج تى وطبيبه الخاص تشاى باى ، حول خلاصة المعلومات المعروفـة لأسباب الأمراض وعلاجها.

وتفترض تلك المعلومات أن الصحة الجيدة تظهر فـــي روح الحياة " تشى " التي هي عبارة عن توازن بين قوتيـــن متكـــاملتين متضادتين هما " الين Yin " و " اليانغ Yang "

ويذكر الكتاب أن الين هي قوة مائية أنثوية لطيفة داخل البدن، تقابل وتوازن قوة اليانغ الجافة الذكرية الخشـــنة ، ومـــا المـــرض بالنسبة لفلسفة الصحة الصينية سوى اختلال الاتزان بيـــن هـــاتين القوتين ، أما الروح تشى فتسرى في جسم الإنسان خـلال ١٢ زوج من القنوات الممتدة على جانبي الجسد ، بحيث يرتبـــط كـــل زوج بعضو حيوي القلب والأمعاء الدقيقة والمثانة والكليتان والحوصلـــة

الصفراوية والكبد والرئتان والقولون والمعدة والطحال وعضوان غير معروفان في الطب الغربي ، يضبطان الدورة الدموية وحرارة الجسم.

هذا ويوجد على امتداد كل قناة عدد من نقاط الضغط أو البوابات التي تتحكم بجريان التشى ، حيث يتم وخز الإبر ، ذلك أم عملية الوخز قد تزيد تيار الين ، أو اليانغ لتحقيق التوازن بين القوتين وبالتالي تحقيق الصحة والعافية ولقد كان يعتقد بوجود ٣٦٥ نقطة ضغط (بعدد أيام السنة) في جميع القنوات ، غير أنه تم حتى اليوم تحديد نحو ٢٠٠٠ نقطة ، ونقاط الضغط هذه لا توجد علاقة بين موقعها وموضع الألم في الجسم والطب الغربي لا يعترف بوجود مثل هذه النقاط.

وتبين الرسوم والخرائط الصينية الشبكة المعقدة لنقاط الضغط على امتداد القنوات عبر خطوط غير منطقية تمر بالجهازين العضلي والعصبي في الجسم ، فأمراض الكلية مثلا ترتبط بنقاط في باطن القدم ، واضطرابات القلب لها أكثر من ١٢ بوابة تمتد من الصدر إلي أطراف الأصابع ، وفي بعض الحالات عندما تفشل الإبر في إحداث الشفاء يتم تزويد طرف الإبرة البعيدة عن الجلد بخلاصه أعشاب مشتعلة تساعد في سرعة الشفاء ، بل وهناك طريقة حديثه تزود اليوم طرف الإبرة هذا بنبضات كهربائية.

ولقد حاولت السلطات الطبية عبر العصور منع العلاج بوخز الإبر باعتباره طباً زائفا ، وليس الذي ينتج عنه سوى أمر نفسي ، بيد أن هؤلاء يتجاهلون أن الوخز بالإبر كان فعالا في الطب البيطري مع الحيوانات أيضاً ، حيث تم شفاء كلاب مصابه بالشلل – على سبيل المثال – عن طريق علاجها بوخز الإبر . كما إن الكتب القديمة أشارت إلي علاج الفيلة وشفاء أمراض العظام لدى الحيوانات عن طريق الوخز بالإبر

لقد عرف الشرق الوخز بالإبر منذ قرون ، غير إن أوربا لم تعرفه إلاّ منذ ٣٠٠ سنه فقط عن طريق بعثه تبشيريه يسوعيه ولم يحظ هذا الموضوع بالاهتمام إلاّ منذ عام ١٩٣٩ عندما قام الدبلوماسي الفرنسي العالم جورج سولي دى موران بكتابة مرجع من خمسة مجلدات حول طرق الوخز بالإبر ، فأحيا هذا النوع من الطب في أوربا من جديد ، واليوم يوجد في فرنسا وحدها أكثر من ١٥٠٠ طبيب يحملون ترخيص باستخدام الوخز بالإبر في علاج مرضاهم ، كما يوجد نحو ١٠ مستشفيات خاصه مجهزة بأقسام للعلاج بالوخز بالإبر.

أما في الصين نفسها ، معهد العلاج باستخدام وخز الإبر ، فقد تقلب حظ هذا النوع من العلاج بين القبول والرفض في عام ١٨٢٢ أعلنت السلطات الصينية أن الوخز بالإبر عمل بربري

ومنعت مزاولته. غير أن هذا العلاج ظل يمـــارس فـــي المنـــاطق البعيدة ثم عاد فازدهر ثانية في جميع أرجاء الصين ، ثم تم منعـــه ثانية في ١٩٢٢ بعد فشله في إيقاف الطاعون الـــذي انتشـــر فـــي منشوريا نتيجة تفشي التيفوس والدوسنتاريا.

وفي عام ١٩٥٩ أعلن الأطباء الصينيون أن بإمكانهم تخديـــر المريض بغرس إبرتين فقط في مكانين مختارين بدقة تحت الجلـــد قبل إجراء العمليات الجراحية الخطيرة أو عمليات الولادة ، واليـــوم يستخدم التخدير بوخز الإبر في نحو ١٠% من الحالات المرضية ، من الذين يتعرضون لجرعات التخدير. كما إن بعضـــهم يمكـــن أن يشرب الماء أو يبلع كميات ضئيلة من الطعام بناءا علـــى رغبـــة الطبيب الجراح وهم يجسون بالمشارط والملاقط وهي تعمـــل فـــي أجسادهم ولكن بدون أي شعور بالألم ، كمـــا إن أطبـــاء الأســـنان الصينيين أخذوا يتحدثون عن إيقاف الألم بمجرد الضغط بأصابعهم، على نقاط حيوية معينه.

هناك اليوم في الصين أكثر من ١٠٠ نـــوع مـــن العمليـــات الجراحية المختلفة تستخدم فيها طريقة الوخز بالإبر لمنع الإحســـاس بالألم ، كما إن بين ١٥ ، ٢٠% من العمليات الجراحية التي تجرى في الصين يتم فيها التخدير عن طريق الوخز بالإبر ، وقـــد ثبـــت نجاح هذه الطريقة بنسبة ٧٥% من الحالات التي استخدمت فيها.

كما إن الوخز بالإبر يستخدم اليوم كذلك في علاج الحـــالات النفسية والاضطرابات العاطفية وفى التغلب على الخـــوف والقلـــق وما شابه ذلك.

لقد أخذ العالم ينظر بجدية إلي العلاج عـــن طريـــق الوخـــز بالإبر وأخذت تدور من حوله الأبحاث والمنــــاظرات لاستكشـــاف السر في منعة الإحساس بالألم ؟!.

* * *

نهاية المخترع العبقرى نيقولا تسلا

كان المخترع اليوغسلافي الشاب نيقولا تسلاَ في الثامنة والعشرين من العمر عندما وصل إلي مدينة نيويورك في عام ١٨٨٤ وليس معه سوى ٤ سنتات .

وسرعان ما التحق بشركة أديسون التي صمم لها مولدات الطاقة المستخدمة في شلالات نياغرا ، وعلى مدى ثلاث سنوات اخترع لحساب الشركة المذكورة ٢٤ نوعاً من المولدات الكهربائية المختلفة التي بيعت بملايين الدولارات. بعد ذلك ترك الشركة وأخذ يعمل لحسابه الخاص بعد أن أنشأ شركة كهربائية منافسة لشركة أديسون ، وقد حصل خلال السنة الأولى لافتتاح شركته على ٣٠ براءة اختراع.

جمع تسلا دخله من اختراعاته وانسحب في عام ١٨٩٩ إلى كولورادو سبرنجز في جبال روكي لمتابعة أبحاثه السرية هناك ، حيث شيد معملاً ضخما ووضع فوقه قبة نحاسية ، كما وضع داخل المختبر ملفا دائريا كهربيا لتزويد جهاز الإرسال بالطاقة اللازمة ، وكان يأمل في التوصل إلي بث موجات لاسلكية حول العالم ، كما كان يخطط لاستثمار الطاقة الكامنة في الأرض نفسها.

استطاع تسلا في البداية إنتاج كمية من الطاقة تكفي لإضاءة ٢٠٠ مصباح على بعد ٢٥ ميلا – بعد ذلك ركز على استثمار وتسخير الطاقة الكامنة في الأرض ، ونجح في جعل القبة النحاسية تصدر ألسنة من النار تمتد لمئات الأقدام في الهواء ، وصحب ذلك انبعاث أصوات كأصوات الرعد مما يعني أن تسلاً قد نجح في توليد البرق الاصطناعي.

عند هذا الحد أوقف تسلا أبحاثه ، وانصرف ثانية إلي أبحاثه السرية ، وبعد نحو ثلاثين عاما وصف تسلا في عام ١٩٣٤ جهازا اخترعه لإطلاق ضوء الليزر ، وقد تم تطوير هذا الجهاز بعد ذلك في عام ١٩٦٠ بعد وفاة تسلا بسنوات.

لقد توفى تسلا في أحد فنادق نيويورك في عام ١٩٤٣ معدماً كما بدأ ، وقبل نقل جسمانه للدفن أقتحم رجال وكالة المخابرات الأمريكية غرفته البسيطة في الفندق ، وصادروا أوراقه وأبحاثه تحت دواعي الآمن القومي ، لقد توصل تسلا إلي اختراع سلاح إشعاعي ذرى يصلح أساسا للاستخدام في حرب النجوم ، كما انه وضع أسس تدمير الصواريخ وهى في الفضاء قبل اختراع تلك الصواريخ بسبعين سنه!!.

وفى عام ١٩٧٧ أثارت السلطات الكندية مسألة اختراعات نيقولا تسلا السرية بعد ملاحظة حدوث عواصف كهربائية غامضة فوق المناطق القطبية، بل وفوق كندا نفسها ، يومها ظنت السلطات الكندية أن السوفيت يقومون بتجارب مماثلة بما قام به تسلا قبل أكثر من ٤٠ سنه ، كما أرجعت السلطات الكندية التغيرات التي طرأت على حالة الطقس إلي تجارب مماثلة لتجارب تسلا ، حيث قال العالم الكندي أندرو ميتشروسكى محذرا بصراحة:

" إنه من الواضح أن الروس يجربون تجارب مبنية على أفكار تسلا وبإمكان ذلك أن يغير من حالة الطقس في العالم "

وقال مدير العمليات في دائرة الاتصالات الكندية في أوتاوا " واطسون و. سكوت " لقد قيل لي أن هذه محاولة لمتابعة أبحاث تسلا . **فهل هذه التجارب هي المسئولة عن الجفاف الكبير الذي حل ببريطانيا في عام ١٩٧٦؟ وهل هي وراء موجة الحرارة في جرينلاند أو وراء الثلوج التي غمرت ميامى مؤخرا ؟ " لا أحد يعرف بالتأكيد !.**

***

اختفاء سوزى لامبلاف

كانت سوزى البالغة من العمر ٢٥ عامـــا تعمـــل منذ ١٦ شهراً فى مكتب عقـــارى فـــى شارع فولهام ، وهى فتـــاة طموحـــة وجـــادة فى عملها .

وقد كلفت في يوم الاثنين الموافق ٢٨ يوليو ١٩٨٦ بلقاء السيد (كيبر) بشأن بيع عقار مكون من ٣ طوابق بسعر ١٢٨ ألف جنيه إسترليني وكانت سوزى تعقد آمالا كبيرة لإتمام هذه الصفقة والحصول على عمولة مجزية.

ركبت سوزى سيارتها الفورد الصغيرة من نوع فيستا التي زودها بها صاحب العمل وتوجهت إلي مكان العقار الذي كان لا يبعد عن المكتب سوى ٣-٤ دقائق بالسيارة.

وقد ظن المدير أن سوزى سوف تعود بسرعة ومعها وجبة الغذاء الخفيفة لتتناولها في المكتب ، ولكي تظل على اتصال بالعملاء وتتلقى المكالمات كالعادة .

ولما طالت غيبتها عدة ساعات أخذ القلق يساور زملاءها في العمل مما جعل السيد مارك جوردون يتوجه مع أحد الموظفين إلي البيت المعروض للبيع حيث لم يعثرا لها أو لسيارتها على أثر.

وقبل العودة مرة أخرى علما من أحد الجيران أن سوزى حضرت إلي البيت مع أحد الشبان وتأملا البيت من الخارج ، وكانت تبدو على الشاب سمات الغنى والوسامة.

عاد السيد مارك إلي المكتب وراجع ملفات عملائه فلم يجد بينهم أسم السيد كيبر – ثم اتصل جوردون بوالدة سوزى التي كانت

في الرابعة والخمسين من العمر وتعمل في إحدى المنشآت الرياضية وتدعى ديانا لامبلاف ، وكان منزلها على بعد أميال من المكتب ، وسأل المدير الأم عما إذا كانت سوزى قد زارتها تلك الأثناء لتناول الغذاء معها ، فأجابت الأم بأنها لم تر سوزى منذ أمس ، كانت سوزى نفسها تسكن في شقة خاصة بها قريبة من منزل والديها.

وعاد السيد مارك للاتصال مرة أخرى بمستشفى الطوارئ واتصل بشرطة سكوتلانديارد وأبلغهم عن اختفاء سوزى ، وبعد ساعات من اختفاء سوزى اتصل كذلك بالمفتش بيتر جونستون في البوليس الذي كان مشغولا يومها بالتحري حول جريمة اغتصاب وقتل ، وظن المفتش أن اختفاء سوزى قد يكون مشابها للحادثه التي يتحرى عنها.

وفي هذه البلاد فإن بلاغات الاختفاء تنقسم إلي مجموعتين مجموعة يكون المختفي فيها هاربا من عائلته أو من دائنيه ، ومجموعة يكون الاختفاء رغم إرادة المختفي ، وكانت حالة سوزى تبدو من النوع الثاني لأنها كانت سعيدة ومستقرة في حياتها وليس هناك ما يدعوها إلي الهرب والاختفاء ، خاصة أنها كانت قد تركت حقيبة يدها في المكتب ، وليس هناك أي دليل يشير إلي تدبير خطّة للهرب.

وقد أرسل المفتش جونستون بعض رجاله إلي شقة سوزى للتحقيق من عدم وجودها هناك ، فلم يجدوها هناك ووجدوا غرفة النوم مرتبة ولا أثر لدخول أي زائر أو لفقدان أى شيء.

كما توجه رجلان إلي البيت المعروض للبيع ولم يعثرا هناك على أي دليل ينير لهم أسرار قضية الاختفاء ، وكان العثور على سيارة سوزى هو الدليل الوحيد الذي نجح البوليس فى العثور عليه. لقد كان والد سوزى في سيارة البوليس التي كانت تبحث في الشوارع عن سوزى عندما سمع من المذياع خبر العثور على السيارة في شارع سكنى هادئ على بعد ٢ كيلومتر من العقار المعروض للبيع ، وكان واضحا أن السيارة تم وضعها قرب إحدى زوايا الشارع على عجل ، وكان باب السائق مفتوحا أما الباب المجاور فكان مقفلاً .. وبعد هذا الدليل المهم لم يتم العثور على أي دليل آخر. لقد وزع البوليس أوصاف سوزى والسيد كيبر على دوريات البوليس ، وكانت سوزى فتاة واثقة من نفسها قوية الإرادة وكان لهل أخ أكبر منها ، وأختين أصغر منها . وبعد ٩ اشهر على اختفاء سوزى مع السيد المجهول أقامت عائلتها قداسا في الكنيسة حيث أحضر زملاءها زهورا وكأنهم يحتفلون بمناسبة زفافها ، وقد اختتم الاحتفال بكلمات قليلة من والدها: " أننا حقا غير متأكدين بأن سوزى حيه ، ولكننا لا نعتقد أنها ميته".

السماء
تمطر
سمكا

هبت عاصفة هوجاء في جبل أرثر بويلز يوم ٩ فبراير عام ١٨٥٩ أعقب ذلك هطول مطر غزير .

جعل عامل قطع الأخشاب جون لويس يهرع بحثا عن ملجأ ريثما تنتهي العاصفة ، وبينما هو يركض تحت المطر أحس بأجسام صغيرة تسقط من السحب فوق رأسه. وعندما رفع يده إلي إطار قبعته ليدنيها فوق وجهه أمسك سمكة محتجزة في إطار القبعة ، وقف مدهوشا ونظر حوله فإذا اسماك صغيرة بأعداد كبيرة تقفز في برك الماء التي صنعتها مياه الأمطار المتدفقة من السماء.

وبعد هدوء العاصفة وتوقف سيل المطر أخذ جون لويس وزملاؤه يجمعون الأسماك من حولهم ويضعونها في سلال وصناديق خشبية كانت بحوزتهم ، وبعد دقائق أخرى عادت السماء تمطر أسماك حيه.

وكانت حوادث مماثلة قدتم تسجيلها من قبل يونانيون في القرن الثاني بعد الميلاد. حيث ذكر فونياس أن السماء أمطرت سمكا ذات مرة لمدة ٣ أيام وسجّل مؤرخ آخر اسمه فيلارخوس أن الناس رأت السماء أكثر من مرة تمطر سمكا.

وفى شهر فبراير سنه ١٨٦١ ، هز جزيرة سنغافورة زلزال عنيف ، أعقبه مطر لمدة ستة أيام ، وقد وصف العالم الفرنسي فرانسوا دى كاستيلينو الذي كان يقوم في ذلك الوقت بأبحاث هنلك، مشاهداته أمام أعضاء أكاديمية العلوم في باريس ، فقال: " رأيت من نافذة غرفتي عددا كبيرا من الصبية يجمعون الأسماك من برك

الماء الضحلة ، ولما سألتهم عن مصدر تلك الأسماك ، أجابوا بأنها سقطت من السماء ، وبعد أيام قليلة جفت تلك البرك فظهرت أسماك عديدة ميته "

كما إن عالم الأحياء المائية الأمريكي ألن باجيكوف شهد فـــي شهر تشرين أول أكتوبر عام ١٩٤٧ ، سقوط أسماك مع ماء المطر بينما كان يتناول طعام الإفطار مع زوجتـــه فـــي أحـــد محـــلات ماركسفيل بلويزيانا.

وفى الهند تم مشاهدة سقوط أسماك مجففه مرتين في ثلاثينات القرن التاسع عشر ، وفى ألمانيا سقطت الأسماك من الســـماء فـــي عام ١٨٩٦ وكانت مجمده داخل مكعبات من الجليد.

وإذا كنا نفهم كيف أن بإمكان الزوابع والأعاصير حمل بعض الأجسام والأشياء الخفيفة معها من فوق سطح الأرض ، فإننـــا لـــم نعرف حتى اليوم كيف يتم امتصاص الأسماك من أعماق البحـــار والمحيطات ورفعها إلي الأعالي ثم إسقاطها بالتدريج علـــى الأرض طوال عدة أيام.

***

الحفريات الحية

حدثت هذه الواقعة فى منطقة سانت ديزيه ونانس فى شمـــال شرق فرنسا عام ١٨٥٦ عندما واجهت أهالى المنطقة كتلة صخريـــة جيرية من العصر الجوراسى .

فنسفوها بالديناميت وشطروها شطرين ، وبعد عـــدة دقـــائق قليلة ، هدأ الغبار وتقدم العمال لحمل فتات الصخور إلـــى خـــارج النفق ، غير أنهم سرعان ما تراجعوا إلى الخلف مذعورين ، لقـــد شاهدوا طائر أسود اللون غريباً بحجم الأوزة يترنح أمامهم ، كـــان له منقار مخيف مزوداً بأسنان حادة ، وكانت أطرافه الأربعة مزودة بمخالب بارزة وبين الأصابع أغشية جلدية تلمع فوقها طبقة زيتيـــة كثيفة.

تحرك الطائر ببطء ، وحرك منقاره في الهواء الملوث وهـــو يلهث ، ثم تقدم عدة أقدام وهوى إلي الأرض ميتا ، حمل العمـــال الطائر الميت إلي متحف التاريخ الطبيعي في مدينة جراى القريبـــة حيث تعرف الخبراء هناك على الزاحف المجنح ووجـــد العلمـــاء أمامهم حيوانا منقرضا من الزواحف الطائرة التـــي عاشـــت قبـــل التاريخ ، أما الصخور التي خرج منها هذا الكائن فيعود تاريخـــها إلي ما قبل ١٥٠ مليون سنه ، حيث كانت تعيـــش الدينـــاصورات والزواحف الطائرة التي كان يبلغ طول جناحي بعضـــها ٥٠ قدمـــا والتي كانت تحلق فوق المحيطات والمستنقعات باحثه عن رزقها.

لقد كان هذا الكشف للطائر المنقرض من أعجب الاكتشـــافات في التاريخ وأصبح حديث الصحف في تلك الفترة ، أمّا كيف كـــان ذلك الطائر يتنفس ، أو ماذا كان يأكل وكيف تحمل الضغط الـــهائل

طوال السنوات التي قضاها داخل هذه الطبقات الجيريه ؟ لا أحـــد يعرف.

ويحكى العالم الثقة الدكتور ى.د. كلارك من كليــة كــايوس بكامبردج قصه مماثلة فيقول: بأنه كان يبحث عن الحفريــات فــي أحد الطبقات الطباشيرية بإنجلترا ، حيث عثر فريقه علـــى عمــق ٢٧٠ قدما على طبقة من قنافذ البحر المتحجرة كان بينـــها ثلاثــة حيوانات من سمندل المـــاء (برمائيـــات) ولمّــا كــانت أجســام السمندلات تبدو محفوظة بحالة جيدة في الطبقة الطباشيرية الرطبة، فقد أخذها الدكتور كلارك ووضعها فوق قطعة من الورق لتجـــف تحت أشعة الشمس ، غير أنه سرعان ما اعترته الدهشة بعد دقــائق قليلة عندما بدأت الكائنات الصغيرة تتحرك وبعد قليل مات اثنـــان وبقى الثالث فأخذه إلي إحدى البرك ليختبر استجابته للماء ، ولمـــا وضعه في ماء البركة أخذ السمندل يتلوى ثم سبح في الماء واختفى وتعذر استعادته.

بعد ذلك أخذ الدكتور كلارك يجمع عينات مختلفة من السمندل ويقارنها بالعينتين اللتين عثر عليهما في الطبقة الطباشيرية. وبعــد دراسة مستفيضة توصل إلي أن السمندل الذي عثر عليه ليس لـــه مثيل معاصر ، كما أن عالم الأحياء الجين ريتشارد كوبولـــد فــي

جامعة كامبردج أفاد بأنه فحص العينتين بنفسه وقال: " انهما مـــن نوع منقرض لا نعرفه من قبل "

بعد تلك الاكتشافات ، شغلت إنجلترا إبان العـــهد الفكتـــورى بنشاطات علمية وبحوث حول اكتشافات الضفادع الحية في الطبقات الصخرية . ففي عام ١٨٦٢ نشرت جريدة محلية في لنكولن ثـــاير تقريراً حول العثور على ضفدع محتجز في طبقة صخريــــة علـــى عمق ٧ أقدام تحت سطح الأرض أثناء عملية حفريات. وبعد ذلـــك بثلاث سنوات تم العثور على ضفدع حي في طبقة صخرية علــــى عمق ٢٥ قدماً ، وكان لون جلده مشابها للون الصخـــر الأبيـــض المصفر لكنه سرعان ما غيّر لون جلده إلي اللون المخضر ثم مات بعد يومين.

لقد دعت هذه الاكتشافات العلماء للقيام بتجـــارب معكوســـة ، حيث أخذ بعضهم يدفن الضفادع في الطين أو في حجرات زجاجيـة ثم يكشف عنها بعد سنه أو أكثر ، كان بعض العلماء يجد ضفادعـــه ميته أما البعض الأخر فكان يستعيدها حيّه. في عام ١٨٦٢ نشـــوت التايمز خبرا مفاده أن أحد العلماء الفرنسيين استعاد بعد ١٢ ســنه ٤ ضفادع حيه من ٢٠ ضفدعه دفنها حيه على عمق كبير تحت سطح الأرض !

كل هذه الحكايات تثير سؤال تم طرحه أثناء مشـــاهدة فيلــم " حديقة الديناصورات ؟ " وهو هل هناك صخرة هائلـــــة تحتجــز داخلها أحد الديناصورات الحية التي يمكن الكشف عنها صدفة ؟

***

حضارة شعب الإنكا

شكل سهـل نازكا الواسع المرتفـع على الساحـل الغربي لبيــرو عقبـه أمـام خطط إنشـاء طـريق واسـع يمتد عبـر قـارة أميركـا الجنوبيـة .

وخلال عمليات مسح واستكشاف أفضل السبل المتاحة لشق طريق دولي عبر ذلك السهل الصحراوي الممتد الأطراف وقد عثر المساحون على آثار مدهشة خلفها هنود الإنكا القدماء الذين كانوا يتنقلون بطرقهم الخاصة عبر ذلك المجاز المتشابه المعالم.

كانت خطوط خرائط المساحيين تتقاطع أحيانا مع ممرات الإنكا القديمة، لكنها كانت في أحيان أخرى تسير لمسافات طويلة بموازاة تلك الممرات التي كانت تمتد في خطوط مستقيمة تصل إلي أكثر من ٢٠ ميلا وكانت تلك الخطوط تمثل أقصر الطرق بين قرى الإنكا ومعابدهم التي يرجع تاريخها إلي ٢٠٠٠ سنه مضت.

وفى عام ١٩٢٧ تم الانتهاء من تخطيط طريق يمتد من ليما في الشمال وحتى نازكا ، ثم يمتد جنوبا نحو حدود تشيلي وبوليفيا وهيأت حكومة بيرو المعدات اللازمة لتنفيذ المشروع وكان من بين تلك المعدات ثلاث طائرات استكشاف مستعمله مع طياريها لتستكشف المساحة الواقعة بين المحيط الهادي وقمة جبال الأنديز بغرض استكمال الخرائط التي يحتاجها المشروع.

طار المساح توريبوكسيسب على ارتفاع ٣ آلاف قدم فوق نجد نازكا الذي تبلغ مساحته ٢٠٠ميل مربع. فشاهد خطوط النازكا القديمة وصفوفا من الأحجار الصخرية التي سرعان ما تبين توريبو مع الطيار المرافق له أنها تمثل صور الحيوانات العملاقة. كان

هناك شكل للطائر الذبّابي (الطنّان) يبلغ طول جناحه أكـثر مـن ٢٠٠ قدما ، وكانت هناك أشكال على هيئة حوت قـاتل وأسـماك وحيوانات وحشرات وطيور على هيئـة محـاربين أشـداء علـى رؤوسهم تيجان ، علاوة على أكثر من ١٠٠ شكل لولبي ومثلثـات وخطوط مستقيمة هائلة العدد ، وكلها بقياسات ضخمة بصـورة لا تصدق.

قبل اكتشاف توربيو التاريخي هذا ، كانت صحـراء نازكـا مجرّد مساحة مليئة بالصخور والرمال ، غير أنها أصبحت بعد ذلك الكشف معرضا ضخما للفن ينبغي على مرتاديه أن يحلقوا عاليا في الجوّ حتى يستمتعوا بما يشاهدونه.

لقد ازدهرت حضارة الإنكا في عام ٢٠٠ قبل الميـلاد إبّـان ازدهار الإمبراطورية الرومانية في العـالم القديـم ، وقـد كـان للرومانيين طرق مواصلاتهم بيد أن طرق مواصلات الإنكا كـانت شيئاً آخر بل وحتى الخطوط المستقيمة كانت تبدو كمدرجات حديثـه لهبوط الطائرات.

كان البروفسيور بول كوسوك من جامعة لونج ايلاند أول عالم أهتم بكشف أسرار الإنكا في صحراء النازكا ، وذلك بعـد مـرور ١٢ عاما على اكتشافها ، أخذ يلتقط الصور ثم يدرسـها بعنايـة ، وكان يقوم بعمله عند الصباح الباكر هربا مـن لفـح الصحـراء

المحرق ، وفى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤٠ لحظ كوسوك بزوغ الشمس من خلف جبال الأنديز . من لدن الطرف البعيد لأحد الخطوط الممتدة أمامه ، وكان ذلك اليوم هو بداية فصل الشتاء في نصف الكرة الجنوبي. لقد استنتج كوسوك بوضوح أن الخطوط المستقيمة العديدة كانت علامات تقويم ضخمة لتحديد الفصول ومواعيد الزراعة والحصاد وما إلي ذلك. بيد أن العالم كوسوك توفى عام ١٩٥٩ دون أن يقدم تفسير لوجود أشكال الحيوانات والآدميين الضخمة.

وكان كوسوك قد استعان بعالمة الآثار والفلك الخبيرة الألمانية ماريا ريخ التي كانت تعمل مديرة مدرسة في عاصمة الإنكا القديمة، كوزكو ، منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وكانت قد توصلت مع كوسوك إلي أن الخطوط المستقيمة لم تكن علامات للشمس والقمر فحسب ، وإنما كانت تدل على موقع العديد من النجوم ، ثم قالت ريخ بأن أشكال الحيوانات كانت مجرد أعمال فنية للزينة. ذلك أن علماء الآثار اكتشفوا حب الإنكا للزخرفة والفن ، عندما اكتشفوا بعض الأواني الذهبية والثياب المزخرفة علاوة على نماذج مصغرة للحيوانات التي رسموها مضخمة على الصخور.

لقد أقنعت تفسيرات كوسوك وماريا ريخ معظم المفكرين والعلماء ، بيد أن الكاتب اريك فون دانيكن الذي حاز إعجاب

ملايين القراء بكتابه "عربة الآلهة " طلع علينا في السبعينات بنظرية مفادها أنّ صحراء النازكا شهدت هبوط زوار غرباء قدمـوا مـن الفضاء وحطت مركبتهم الفضائية على تلك المدرجات المستقيمة ، وقد أخذ البعض نظريات دانيكن على محمـل الجـد، فقـام أحـد الطيارين بالهبوط بنجاح فوق أحد الممرات المستقيمة على سـبيل التجربة للتحقق من صحة نظرية دانيكن.

بعد ذلك جاء الأمريكي جيم وودمان وزار صحراء النازكـا ووجد قماشا محاكا بشكل محنك وأفرانا فادعى بأن شعب الإنكا كان يملأ البالونات من ذلك القماش بالهواء الساخن ويطير بـها فـوق الصحراء للاستمتاع بمشاهدة مـا صنعـوه ، مـن أشـكال فنيـة وزخارف، وقد قام وودمان بالفعل في عام ١٩٧٥ بالتعـاون مـع خبير المناطيد الإنجليزي جوليان نوت ، بصنع بالون مـن صنـع الهنود المحليين وبصنع سلة من القصب علقاها بالبـالون المملـوء بالهواء الساخن وطارا فوق صحراء النازكا حيث استمتعوا بمشاهدة تفاصيل المنظر الرائع تحتهما.

هل استطاع العلماء حل لغز ما وجدوه من آثار في صحـراء النازكا؟ وهل تكمن الإجابة في مزيج من النظريات السابق ذكرهـا في السطور السابقة ؟ وهل كانـت الأشكال الضخمة من الحيتـان

القاتلة والعناكب والمحاربين نوعاً من الإنذار للغزاة القادمين من الفضاء ، يقول لهم: " هذا عمل إنـاس عمالقـة ، لا تقتربوا ، الهبوط هنا فيه هلاككم! " ربما نتلقى الإجابة عن هذه التساؤلات في يوم ما؟

***

البحث عن سكان فى الفضاء

كانت فكرة البحث عن حياة في الكــون مــن حولنا واحــــدة من أكثر الأفـــكار إلحــاحــا على فكــر الإنسانية عبـــــر عمرها الطويــــل .

ولقد انتقلت هذه الفكرة من العلماء والفلاسفة إلـــي الأدبـــاء فكـــان نتاجها روايات كثيرة تتحدث عن غزو سكان الفضاء لـــلأرض ، أو رحلات من سكان الأرض إلي ما يحيط بها من كواكب وتوابع مثل رواية حرب " حرب النجـــوم " War of the World للمؤلـــف هـــ.ج ويلز عام ١٨٩٨.

ومنذ مشى الإنسان منتصب القامة على سطح هـــذه الأرض ، وهو يتطلع نحو السماء ويتساءل: هل توجد حياة هنـــــاك ؟ ومنـــذ آلاف السنين والإنسان يتخوف من وجود حضارات أكـــــثر تقدمـــا ورقيا من حضارتنا خارج الأرض ، ولقد صـــــور كتّـــاب الخيـــال العلمي كائنات مخيفة وحيدة العين خالها ملايين القراء وكأنها حقيقة سيكشف عنها المستقبل.

وفى مجرتنا وحدها أكثر من ١٠٠,٠٠٠ ألف مليون نجـــــم ، خمسها على الأقل مثل شمسنا ، ووفقا لمـــــا يقولـــه عـــالم الفلـــك البروفسيور أرشيبالد روى. فإن نصف هـــــذا الخمـــس (١٠آلاف مليون نجم) لكل منه كواكب تدور حوله ويحتمل أن توجـــد فيـــها الحياة.

وفى خمسينات هذا القرن وصــــف عـــالم الفلـــك الفيزيـــائي الأمريكي سوشو هوانج الذي يعمل في إحدى جامعات الينويز نمـــط الحياة التي يحتمل وجودها في كواكب ومجرات أخرى غير مجرتنا

فقال: بأنها ينبغي أن لا تكون حارة جدا حتى لا يتبخر الماء فيها ، وينبغي ألا تكون باردة جدا حتى لا يتجمد الماء فيها ، فإذا ما توفر جو كهذا فإن وجود حياة هناك أمر محتمل حيث لا يوجد سبب منطقي يمنع ذلك.

ولطالما حلم الإنسان بالاتصال بسكان العوالم الأخرى في الفضاء ولعل أول محاولة كانت عندما أخذ الإنسان بعد اكتشاف النار يشعل الحرائق فوق التلال غير أن إشعال النار لا يكون أكثر من دليل على الإنذار بوجود خطر، ولذلك فإن المحاولة الأولى كانت بعد اختراع صموئيل مورس للتلغراف الكهربائي عام ١٨٣٦، ولما كان من المتعذر إرسال إشارات مورس (التي تحتاج إلي أسلاك كهربائية) إلي الفضاء ، فقد اتجه التفكير إلي إرسال تلك الإشارات باستخدام الأشعة الضوئية من مصدر ضوئي أو باستخدام أشعة ضوء الشمس التي تعكسها مرآة ضخمة ، وكان المخترع الفرنسي شارل كروس أول من فكر باستخدام مرآة ضخمة لعكس أشعة الشمس من الأرض إلي المريخ على أمل الاتصال بسكان المريخ بعد تحريك المرآة إلي الأمام والخلف ، بيد أن كبر حجم المرآة كان يحول دون تحريكها – ثم من يضمن أن سكان المريخ – إن وجدوا – سوف يفهمون الرسالة ويجيبون

عليها؟ ولذلك عندما مات كروس في باريس عام ١٨٨٨ ، مـــاتت الفكرة معه.

اقترح فيما بعد المهندسون العاملون مع المخترع الأمريكـــي طوماس أديسون فكرة أفضل فنادوا بعمل طوف عمـــلاق طــول ذراعه عشرة أميال ، وتعويمه فوق بحيرة ميتشجان بعـــد تزويـــده بالمصابيح الكهربائية التي توصل أديسون إلي اختراعها حديثـــا ، واقترحوا إضاءة المصابيح لمدة عشر دقائق وإطفائها لمدة عشـــر دقائق ، وتكرار هذه العملية كإشارة إلي سكان الفضاء بـــأن علـــى سطح الأرض حضارة متقدمة تحاول مخاطبتهم ، بيد أن أديســـون رفض تجربة الفكرة ، محتجاً بأن منازل نيويورك وشوارعها أحوج إلي الطاقة التي سوف تستنفد في هذه التجربة ، وهكذا ماتت هـــذه الفكرة في مهدها.

وقد ظلت الفكرة تراود عقول الناس ومخيلاتهم فـــي القـــرن التاسع عشر، كان بعضهم يتشوق إلي تنفيذ الفكـــرة ، بينمـــا كـــان البعض الآخر يصاب بالهلع عندما يفكر بإمكانية نجاحها ، وفى عام ١٨٩٨ كتب هـــ . ج ويلز قصته المفزعة (حرب النجوم) التـــي تحدث فيها عن غزو الأرض من قبل سكان المريخ بأسلحة مميته ، وظل الأمر محصوراً في مجال الخيال والروايات الخياليـــة وكـــان البعض يتخوف من تحقيق الفكرة ، ونجاحها ،نظـــراً لأن نجاحـــها

حسب رأيهم سيلفت الانتباه إلي كوكبنا ويعرضه لاحتمالات الغـزو بالفعل.

ومع ذلك أعلن ناشر إحدى الصحف في باريس عن جـائزة مقدارها ١٠٠,٠٠٠ ألف فرنك لمن يستطع الاتصال مع أي كائنـات حيه غريبة تعيش في مجرتنا باستثناء المريخ ، غير أن أحد لم يفـز بالجائزة ، بل وتلقى الناشر رسائل عديدة من مواطنيـن عـاديين يطلبون منه عدم تشجيع فكرة الاتصـال بالغربـاء فـي الفضـاء الخارجي وبإلغاء الجائزة.

ولكن شئنا أم أبينا ، فنحن بدأنا الاتصال بالفضاء الخـارجي منذ اختراع موجات الاتصال اللاسلكي في مطلع هذا القرن كمـا أن موجات الإرسال الإذاعي والتليفزيونـي تتسـرب إلـي الفضـاء الخارجي.

وصحيح أن مثل هذه الموجات كلما ابتعدت تضعف غير أنـه في الإمكان تقويتها وإعادة استقبالها إذا افترضنا وجود حضـارات متقدمة في الفضاء الخارجي ، كما إن هناك مشكلة أخـرى ظلـت تبحث عن حل هي : لو فرضنا أن سكان الفضاء بثوا إلينا موجاتهم اللاسلكية فعلى أي موجة يمكن التقاطها؟

في عام ١٩٤٣ طلع علينا عالم الفلك الهولندي هندريك كريستوفل فان دينهولست بحل معقول لتلك المشكلة ، قال بأن ذرات الهيدروجين يمكنها، إن غيرت طاقتها بفعل المؤثرات الكونية، أن تبث طاقة لاسلكية ضعيفة على موجة الراديو ٢١ سنتيمتر ، ولو فرضنا أن سكان الفضاء يعرفون هذه الحقيقة مثلما نعرفها ، يصبح عندئذ من السهل تبادل الإشارات اللاسلكية بيننا وبينهم على هذه الموجة.

ولقد تمت أول محاولة رسمية للاتصال بالفضاء الخارجي في عام ١٩٦٠ عندما قام عالم الفلك الأمريكي الدكتور فرانك دريك بتوجيه قرص الهوائي الضخم (قطره ٨٥ قدم) للمرصد الوطني في جرين بانك في غرب فرجينيا نحو النجمين .T.C ، E.E وقد اختار العالم هذين النجمين لقربهما منا (على بعد ١١ سنه ضوئية). وأطلق على مشروعه الاسم الرمزي OZMA وقد أبقى أمر هذا المشروع سرا خشية أن يتعرض لسخرية النقاد أو يتهم بتبذير الوقت وإساءة استخدام معدات الرصد، وطوال ثلاثة أشهر ظل الدكتور دريك ينتظر سماع أية إشارات قادمة من الفضاء قبل أن يعلن أمام زملائه بأنه لا يعتقد بوجود حياة متقدمة على بعد معقول من كوكبنا.

أما في عام ١٩٧٢ فقد قام علماء مشروع (بيونير) بقـــذف رسالة في زجاجه إلي الفضاء الخارجي ، ورسموا عليها خريطـــة لموقع كوكب الأرض مع صورة لامرأة ورجل رافعين اليد كتحية ، ومع إشارة إلي الاتصال بالأرض على الموجة ٢١ سنتمتر وبعـــد أربع سنوات أعلن العلماء (في عام ١٩٧٦) أن رسالتهم لم تـــأت بنتيجة وإنها ربما تكون قد أصبحت إحدى النفايات الســـابحة فـــي الفضاء.

هذا وكان الكاتب العلمي إيان ريد بات قد شك فـــي اســـتجابة وفهم سكان الفضاء لمغزى صورة الرجل الرافع اليد بالتحية فـــاخذ صورة مماثلة وعرضها على مجموعة من قردة ريسوس في قفص، فظنت القردة بأن الرجل سيهاجمها ولذلك تم في عام ١٩٧٧ وضع رسالة ثانية في الفضاء الخارجي محملة بأشرطة فيديو ، وأصـــوات العصافير والحيوانات الأخرى وبعبارات التحية بخمس وخمســـين لغة مختلفة.

والآن لقد توقف مشروع OZMA وذهب طي النسيان غـــير أن تطلع الإنسان إلي مخاطبة سكان الفضاء لم ولن يتوقف فـــهناك اليوم عدة جهات في أميركا وسواها من البلدان ما زالـــت تســـعى لتحقيق تلك الفكرة من بين هؤلاء مؤسســـات كبـــيرة أو صغـــيرة وأفراد.

غير أنه يجب ألا ننسى شيئا واحدا وهـــو أن الإشـــارة قـــد تستغرق ٢٠-٣٠ سنه حتى تصل من الأرض إلي مســـتقبليها فـــي الفضاء والى فترة مماثلة حتى تتلقى الإجابة!

***

رائدة الطيران اميليا ايرهارت

كانت اميليـــا ايرهارت أول امـــرأة تقطـــع المحيـــط الأطلنطـــي بطائـــرتها وأول قبطـــان بيـــن النســـاء والرجـــال يقـــطـــع المســـــافة بمفـــرده بيـــــن هـــــــاواي وكاليــــــفورنــــــيا.

وفى بداية شهر يونيه عام ١٩٣٧ كانت تتطلع إلـــي إضافـــة إنجاز جديد ، إلي سجلها عندما جازفت بالقيام بأول رحلة طـــيران حول العالم عبر أطول طريق – فوق خط الاستواء ٢٧ ألف ميل – لقد كانت واثقة من مهارتها ومن طائرتها اللوكهيد ذات المحركين.

لقد فكرت ايمليا في عبور الأطلسي من الشرق إلـــي الغــرب وفى أن تتزود بالوقود في الجو ، غير أن وزارة الحربية الأمريكية وجدت في ذلك مخاطرة غير مأمونة العواقـــب ونصحـــت ايمليـــا بالهبوط والتزود بالوقود في منتصف المحيط ، في جزيرة هـــاولاند البعيدة ، إلي الشمال من خط الاستواء ، وعلى بعد ٦٠٠ ميلا مـــن جزيرة مارشال الخاضعة لسيطرة اليابانيين.

وفى ١٧ مارس بدأت اميليا رحلتها وأدركـــت منـــذ اللحظـــة الأولى أن الرحلة لها طابع سياسي وحربي ، وبعد شهر من بدايـــة الرحلة وصلت اميليا ومرافقها الطيار فردريك نوتان إلي نيو غينيا، حيث كان عليهما أن يقلعا بعد ذلك من هناك إلي جزيرة هـــاولاند ، وكانت هذه أخطر مرحلة في الرحلة بعد ذلك كان عليهما أن يتوقفـــا في هونولولو ، ثم أوكلاند بخليج سان فرانسسكو ، وأخـــيرا فـــي بلدتها لا فاييت بولاية أنديانا.

أقلعت ايمليا ونونان من نيو غينيا باتجاه جزيـــرة هـــاولاند ، وكانت السفن الأمريكية تتابع مســـار طائرتـــهما وتختـــبر قـــدرة

أجهزتهما على التتبع والتوجيه ، وبعد ٥ ساعات من إقلاع الطـائرة تلقت إحدى السفن أول اتصال من الطائرة في تمام الساعة الثالثـة بعد الظهر وكانت الرسالة تشير إلي أن كل شيء يسير علـى مـا يرام ، وبعد مرور ساعتين على الاتصـال الأول تلقـت السـفينة اتصالا آخر يشير إلي الظروف الجوية التي أجبرت الطائرة علـى تغيير ارتفاعها وسرعتها غير أنه لا يوجد أي داع للقلق.

وفى الساعة العاشرة مساءاً اضطرت سفينة المراقبة اونتـاريو إلى العودة إلي قاعدتها للتزود بالوقود بعد أن عهدت بمهمتها إلـى السفينة (ايتاسكا) التي تبعد ١٠٠٠ ميل عن هاولاند.

في هذه الأثناء تلقت محطة مراقبة أرضية في جزيرة نـاورو تقريراً موجزاً من الطائرة مفاده " نشاهد أمامنا سفينة " وفى ساعات الصباح الباكر، تلقت السفينة ايتاسكا عند الساعة الثالثـة إلاّ ربعـا صباحا رسالة تقول " طقس غائم .. غائم " وبعد سـاعة عـاودت ايمليا الاتصال وأعلنت تغيير موجة أذاعتـها غـير أن المحطـات الأرضية لم تتمكن من تحديد موقعها ، وفى الساعة الثامنـة و٤٣ دقيقة سمعت آخر رسالة من ايمليا ، وكانت تتسم بالهياج واليـأس ، بعد ذلك فقد الاتصال بالطائرة وبدأت عمليات البحث.

لقد تدخل الرئيس فرانكلين روزفلت شخصيا وأمـر السـفينة الحربية كولورادو بمغادرة هاواي والتوجه إلي منطقة البحث ،.وفى

اليوم التالي أمر حاملة الطائرات لكسنغتون وثلاث مدمرات أخرى للانضمام لفريق البحث.

وبدأت الصحف تنشر بعض الشائعات وقال مراسل إحدى الصحف في يوم ٥ يوليو إن ايمليا بثت رسالة التقطتها إحدى القواعد الأرضية التابعة لشركة طيران بان اميركان في جزيرة ميدواى تقول الرسالة أن الطائرة أرغمت على الانحراف عدة أميال جنوب شرق هاولاند ، قرب جزر فونكس ، غير أن المسئولين العسكريين ، سارعوا إلي نفى الخبر حتى لا ينتبه اليابانيون إلي قوة المحطات الأرضية الموجودة في جزيرة ميدواى.

بعد أسبوعين من البحث ثارت تكهنات أن ايمليا هبطت بسلام في جزيرة هاولاند ولكن افتعال حادثة اختفائها كانت لإعطاء البحرية الأمريكية مبرراً لإرسال سفنها للتجسس على الأسطول الياباني وقيل أن الجنود الأمريكيين الذين قاموا بالبحث عن الطائرة المفقودة عادوا إلي قواعدهم يحملون عشرات الصور عن السفن والقواعد اليابانية.

واستمرت الشائعات لمدة سنه وقد أخذت إحدى الصحف الصادرة في كاليفورنيا تنشر سلسلة من المقالات حول اختفاء طائرة ايرهارت ، غير أن السلطات الأمريكية تدخلت ومنعت نشو أي شيء عن الموضوع.

وهكذا اختفت ايمليا ايرهارت وزميلها الطيار نونان ، ولم يعد أحد يسمع عنهما شيئاً إلي حين بدء انتصـــار الأمريكيين علـــى اليابانيين في خلال الحرب العالمية الثانية ، في عام ١٩٤٤ استولت القوات الأمريكية على جزر مارشـــال مـــن اليابـــانيين. وخـــلال التحقيقات الروتينية أخبر أحد اليابانيين نائب الأدميرال إدغار كروز بأن اليابانيين أحضروا إلي الجزيرة فـــي عـــام ١٩٣٧ طيـــاريين أمريكيين احدهما رجل والثاني امرأة ، وأن الطياريين تم نقلهما إلي سجن غارابون في جزر ماريانا حيث أصيبت المرأة بعـــد أشـــهر بالدوسنتاريا وماتت ، أما رفيقها فقد تم إعدامه بعد الانتـــهاء مـــن استجوابه.

بعد ٢٠ سنه أعلن بحاران أمريكيان سابقان في عـــام ١٩٦٤ انهما استعادا بقايا جثتي ايمليا ايرهارت وفردريـــك نونـــان مـــن قبريهما في إحدى جزر ماريانا ودفنوهما في الولايـــات المتحـــدة ، غير أن السلطات الرسمية رفضت تأكيد أو نفى القصة.

وهكذا ظلت الحقيقة لغزا غامضا .. ولا أحد يعرف هل كـــانت ايمليا ايرهارت مجرد هاوية طيران أو بطله أمريكية قومية ضحت بحياتها من أجل وطنها ؟ . أو هل تكمن الحقيقة في التقرير الـــذي نشرته إحدى الصحف الأسترالية غير المشهورة ، يقول التقريـــر إن الولايات المتحدة أخبرت حليفتها .. استراليا.. بأنـــها تراقـــب

رحلة ايمليا وتتابعها كغطاء للاستعداد للحرب ، وفى محاولة منـــها للتجسس على إمكانيات العدو - الياباني في ذلك الوقت - وختـــم التقرير بالقول " إن العواطف تأتى في المرتبة الثانية بعد الخدمات العسكرية السرية " !.

***

الناس و النجوم

لا زال الكثيـــر من الناس يستشير المنجمين قبـــل الإقـــدام على عمـــل مهـــم أو خطـــيـــــر في حياتـــــهم .

من هؤلاء رجال أعمال وصناعة وملـــوك ورؤســاء دول ، ومهندسين ورياضيين ، علاوة على آلاف بـــل وملاييـــن النســاء والرجال المقدمين على الزواج ، من منا لا يعرف برجه ، أو لـــم يقرأ الفلكي في جريدته اليومية ؟ وهل صحيح أن لحركة الكواكـب في السماء تأثير على حياة البشر على سطح الأرض ؟

ولا زالت الصحف تحكى عن لقاء القمة الذي تم بين رونـــالد ريجان وميخائيل جورباتشوف يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٨٧ لتوقيـــع المعاهدة التاريخية لتدمير الصواريخ النووية متوسطة المدى ، كـلن مع كل منهما كبار مستشاريه العسكريين ، غير أن وراء كل منـهما كان يقف أيضا المستشارون السريون ومنهم المخـــابرات الســرية الروسية وعالمة التنجيم الكاليفورنية .. ذلك أن مواعيد ريجان التي كانت تشرف عليها زوجته نانسى كانت محكومة خلال ٨ ســنوات التي قضاها ريجان في البيت الأبيض بتنبؤات المنجمين.

وقد أثارت هذه المسألة ضجة كبيرة في أمريكا واحتجاجـــات واسعة ، وأسرع المسؤلون بالبيت الأبيض لنفـــى إيمـــان الرئيــس وزوجته بمسألة التنجيم والى نفى أي تأثير لآراء المنجميـــن فـــي قرارات رئيس أكبر قوة عالمية. غير أن الرئيس وزوجته كانا قـــد اعترفا قبل وصولهما إلي البيت الأبيض بإيمانهما بعلم التنجيم.

ولم يكن الرئيس وزوجته فقط ممن يؤمن بتأثير النجوم والأبراج على حياة الناس بل إن هناك الملايين من البشر الذين يعتقدون بصورة أو بأخرى في تأثير النجوم والأبراج على حياة البشر .

ويوجد في أمريكا وحدها ٥ آلاف منجم محترف يبلغ دخلهم السنوي حوالي ٣٥ مليون دولار كما إن ٩ من كل ١٠ صحف تصدر في الولايات المتحدة وأوربا ومعظم دول العالم فيها عمود يومي للأبراج وقراءة الخط يحرص ملايين القراء على قراءته يوميا.

ولكن ينبغي التمييز بين علم الفلك وعلم التنجيم ، ذلك أن علم الفلك علم موضوعي له أدواته التي تدرس الأجرام السماوية وحركتها دراسة علمية ، بينما نجد أن علم التنجيم هو مجرد اعتقاد بتأثير حركة الكواكب في حياتنا اليومية ، وعلم الفلك مثل علم التنجيم قديم قدم الحياة على الأرض ، ويرجع تاريخه إلى أيام البابليين القدماء (٦٠٠ سنه قبل الميلاد) الذين أخذوا يرسمون الخرائط التفصيلية لحركة الكواكب ويربطون ذلك بأوقات الفيضان أو بحدوث كوارث طبيعية على سطح الأرض ، أما أول كتاب عن علم التنجيم فوصلنا من المنجم اليوناني (بطليموس) في القرن الثاني الميلادي ، حيث صنف النجوم في مجموعات سماها

" منازل " وربط مواليد كل مجموعة بحظوظ أرضية مثـــل الغنـــى والفقر والصحة والمرض .. الخ .

ومثلما كان بطليموس جغرافيا عالما فقد كان أعظم فلكي فـــي عصره ، اعتمد العالم طوال ١٤٠٠ سنه على دراساته فـــي علـــم الفلك والتنجيم وفى عام ١٠٦٦ اكتسبت أقوال بطليموس احترامـــا وثقة فائقين وأصبحت تنبؤاته مقبولة دون شك أو تساؤل ، وكـــان بطليموس قد تنبأ بموت ملك سوف يتغير بموتـــه تـــاريخ العـــالم، وبالفعل مات بعد اشهر قليلة في ذلك العام ملك إنجلترا السكســونية هارولد ، والذي قتل في معركة هاستنجر ، فـــانتقل بموتـــه حكـــم بريطانيا إلي أيدي الفاتحين الأسكندنافيين (النورمنديين)

وبالرغم من أن نظرية بطليموس كانت في الحقيقة مبنية على غلطة خطيرة فقد كان يعتقد بأن الشمس والكواكب الأخرى تـــدور حول الأرض ، وبالتالي فهي مركز الكون ، ولكـــن جـــاء العـــالم كوبرنيكس (١٥٤٣) وقال بأن جميع الكواكب بمـــا فيـــها الأرض تدور حول الشمس ، وكان مـــن المنتظـــر أن تقضـــي اكتشـــافات كوبرنيكس على علم التنجيم نهائيا ، غير أن شيء مـــن هـــذا لـــم يحدث.

وعزز إسحق نيوتن باكتشافاته إيمان الناس بالتنجيم ، فقد كان أول من كشف عن قوانين الجاذبية وقال إن قوى الجاذبيـــة علـــى

الأرض من الشمس والقمر تسبب في حركة المد والجذر ، ولذلك قال المنجمون فلماذا لا يكون للأجرام السماوية تأثير على شخصيات وحظوظ الناس على سطح الأرض.

ومع كل الدلائل العلمية التي لا تؤيد علم التنجيم اليوم فإن هذا العلم ما زال يستحوذ على اهتمام الناس في كل مكان ، ومن كل الطبقات ، فونستون تشرشل كان يستخدم منجّماً لينصحه بتأثير النجوم على تحركات هتلر الذي كان يؤمن إيمانا قويا بالتنجيم ، وفى القرون الوسطى كان البارونات والملوك يلجئون إلي المنجمين يستشيرونهم قبل الإقدام على عمل خطير ، كما استخدمت الملكة اليزابيث الأولى المنجم (جون دى) كمستشار شخصي لها وفي القرن ١٧ تنبأ المنجم وليام ليلى بحريق لندن وبالطاعون العظيم ، وبالتالي أصبح مستشارا مقربا من كل من شارل الأول و أوليفر كرومويل.

وهناك اليوم كثير من أرباب العمل يعتمدون في أعمالهم على علم التنجيم فانيتا هيغنسون المسئولة عن وكالة التوظيف في لندن تقول: " أتعرف على أبراج الناس لاكتشف بعض الصفات واجد الكثير من مندوبي المبيعات الناجحين أمّا من مواليد برج الحمل أو برج القوس لأنهم يحسنون التعامل مع الناس ، ويتميزون بشخصيات قيادية ووجه محبب. أما مدير شركة التامين تريفور

ثويت فيقول أنه يمنح الوظائف المهمة لمواليد برجي الأسد والجوزاء لما يتمتعون به من ذلاقة اللسان ، وحلو الحديث وقوة الإقناع كما ويستعين بمواليد برج القوس لأنهم مجدين في عملهم ومخلصين.

وفى دراسة حول العاملين في سوق الأوراق المالية في وول ستريت أجريت بناء على طلب من أحد أعضاء مجلس الشيوخ تبين أن نصف المديرين الماليين والمستثمرين يستشيرون المنجمين قبل الإقدام على عقد الصفقات أو اتخاذ القرارات المهمة.

وقد اعترف ضابط كبير بوكالة الاستخبارات الأمريكية (C I A) بأن عملاءهم كانوا يخترعون تنبؤات معينة للتأثير في توجيه سياسات رؤساء أمثال محمد شيهو رئيس وزراء ألبانيا ، والرئيس الإندونيسي سوكارنو ورئيس غانا كوامي نكروما !

وبالرغم من ذلك فقد عجزت الوكالة عن منع الرئيس ريجان من استشارة النجوم ، لقد كان واحد من أكثر رؤساء الولايات المتحدة إيمانا بالخرافات ، كان لا يذهب إلي الاجتماعات المهمة إلاّ وفى جيبه ٥ تعويذات خط أو أكثر ، وقد أعترف في سيرته الذاتية التي كتبها عام ١٩٦٥ قبل أن يصبح رئيسا أنه كان يعتمد هو وزوجته على تنبؤات المنجمين.

وقد اهتم هتلر منذ حداثته بدراسة علم التنجيم ، وفـــي عـــام ١٩٠٩ أصبح أحد أتباع رجل دين يدعى الدكتور جورج لانزفـــون وكان الأخير قد هجر الديانة المسيحية وأنشأ مذهبا خاص به وأخــذ يعلم تلاميذه السحر والتنجيم في قلعة على ضفاف نهر الدانوب.

وفى أوائل الثلاثينات أذهل هتلر كثيرا من مساعديه بإيمانـــه الطفولى بالصوفية ، في تشرين أول (أكتوبر) ١٩٤٣ وبينما كــان هتلر يضع حجر الأساس لمتحف الفن الألماني في ميونخ تحطمــت المطرقة الفضية التي استخدمها الفوهور ففزع هتلر وأخبر وزيـــر حربيته البرت بير بأن ذلك فأل سيئ وأنه يتوقع ضربه توجهها قوة شهيرة ، وظل هتلر يعانى من رعب مهين طوال ثلاث أشهر حتـــى توفى المهندس الذي صمم المتحف . يومها قال هتلر: " لقد زالـــت اللعنة ، فالمهندس هو الذي كان مقصودا ولست أنا "

ويحكى عن هتلر في تلك الفترة أنه كان يستيقظ ليلاً يصـــرخ ويستغيث، وكان يتملكه الرعب ويرتجف وينطق بعبـــارات غـــير مفهومة ويكاد يختنق.

وخلال السنوات الأربع الأولى للحرب اقتنع بعض النـــاس أن هتلر يمتلك قوة خارقة حيث كان ينتقل من نصر إلي نصـــر ، ثـــم أنشأ الفوهور (مكتب التنجيم) في برليـــن لمســـاعدته فـــي إدارة الحرب ، ووظف فيه بعض المنجمين وعلماء النفس المحببين إليه ،

وهكذا أصبح جنرالات الحرب الألمان ينتظرون استشارات هتلر لمكتب التنجيم قبل الإقدام على تنفيذ خطط الحرب أو إلغائها ، كما إن مستشار هتلر للتنجيم البحري ، المهندس لودفيك سترانياك كان يوجه تحركات سفن الأسطول في المحيط الأطلسي مدعيا بأنه يعرف مواقع السفن المعادية عن طريق الذبذبات النفسية ووضع عصاه فوق الخرائط في المكان الصحيح.

ومن المواقف العجيبة أيضا أن رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب ونستون تشرشل كان يعرف إيمان هتلر بالتنجيم ، لذلك استعان بالمنجم والتر شتاين الذي هرب من ألمانيا النازية وأنشأ دائرة للتنجيم مهمتها محاولة توقع ما يفكر فيه هتلر لكي يمكن مجابهة خططه أو إجهاضها!!

* * *

الرجل الذئب

الرجـل الذئب الذي يلعب دوراً مرعبـا في الأساطيـر الخياليـة أو الـذي تصـوره الأفـلام السينمـائية متـعطشاً للدمـاء بشعـره الخشن ومخالبـه الحـادة وأنيابـه البـارزة ، هل يوجـد في الحقيقة والواقع ؟

أم أنه نتاج الخيال وأوهام الفلاحين البسطاء ؟ وهل يمكن أن ينقلب الإنسان – رجلاً كان أو امرأة – إلي وحش يهاجم بأنيابه ومخالبه ويمزق لحم البشر ؟

من المدهش أن الحقائق العلمية والطبية والتاريخية تؤكد حدوث مثل تلك الأمور ، فحكايات الإنسان الذئب ذكرها المؤرخ اليوناني هيرودتس في القرن الخامس قبل الميلادي عندما كتب عن المكتشفين العائدين من المستوطنات حول البحر الأسود وحكايتهم عن الرجال الذين يمكنهم أن يتحولوا هناك بفعل السحر إلي ذئاب وبعد قرنين ذكرت الأساطير الرومانية تحول الإنسان إلي ذئب كعقاب له من الألهه فإذا هام في الغابات مع الذئاب لمدة ٩ سنوات ولم يهاجم انساناً عاد إلي طبيعته البشرية.

وتستمر الأساطير مع السنين وتكبر دون توقف ، فالذي يولد ليلة عيد الميلاد من المحتمل أن يصبح متذئبا ، وهناك رجال يمسخون هم وذرياتهم ذئاباً بسبب خطيئة كبيرة ، وآخرون يستعينون بالسحر الشيطاني ليتحولوا إلي ذئاب ويرتكبون أعمالهم الشنيعة أو جرائمهم البشعة ، كما إن هناك المساكين الذين ليس لهم يد في استذئابهم والذين يكافحون للتستر على حالتهم وإخفائها وقد شهدت القرون الوسطى حكايات مخيفة كثيرة عن الرجال الذين

مسخوا ذئابا وهاموا في الغابات كقطعان متوحشة تهاجم الحيوانات الأخرى وقطعان الماشية والإنسان نفسه.

في القرن الـ١٦ عندما أخذ الأوربيون يقيمون المستوطنات في أمريكا الشمالية وعندما كان هنرى الثامن ملكا على بريطانيا،وجاليليو ينشر دراساته الفلكية ويخترع تلسكوبه في هذه الفترة كانت فرنسا تعيش وسط وهم ديني عوقب بموجبه آلاف الأبرياء شنقاً أو حرقاً بتهمة الهرطقة أو السحر أو الاستذءاب. وقد تم في الفترة بين ١٥٢٠ ، ١٦٣٠ محاكمة ٣٠ ألف شخص بتهمة الاستذئاب وإعدام بعضهم من قبل مواطنيهم الفلاحين.

وفى أواخر القرن ١٦ شنت بريطانيا حملة لصيد الذئاب وقتلها نتج عنها بعد ٢٠٠ سنه استئصال الذئاب كليَّة من الجزر البريطانية ، غير أن قطعان الماشية ظلت تسرح في سائر أنحاء أوربا الأخرى بحرية وظلت حكايات الذئاب المخيفة موضوعاً خصبا في الأدب الشعبي مثل حكايات ليلى والذئب.

وهناك حادثه شهدتها فرنسا عام ١٥٩٨ عندما وجد الفلاحون جثه صبى ممزق فظنوا أن الذئاب قد نهشتها ، وعندما أخذوا يطاردون الذئاب في المنطقة عثروا على جاك رولى المتوحش الذي كان يعانى من مرض عقلي ، وقد تلطخت مخالب يديه بالدم ، وكان شبه عار ، يغطى جسده شعر طويل ، ولم يكن الطفل الذي

وجدوه مقتولاً أول ضحية له إذ اعترف جاك أثناء محاكمته أنه قتل عدة أطفال وأكل لحمهم لأنه كان يظن نفسه ذئباً. وقد حكم عليه بالإعدام غير أن السلطات في باريس خففت الحكم إلي السجن مدى الحياة ، وتم حبسه في مصحة عقلية.

بعد ذلك بسنوات قليلة شهدت قاعة محكمة بوردو مثول اليافع جان غرنسييه البالغ من العمر ١٣ سنه واعترافه بأنه مستذئب كلن جان متخلفا عقليا. وذا فك كبير مشوه تبرز منه أنياب مدببة حادة ، فاجأ ذات مرة مجموعة من الراعيات وأخبرهن بأنه عقد اتفاقاً مع الشيطان لتحويله إلي ذئب. وبعد أيام هاجم إحدى الراعيات فتعقبه الأهالي وألقوا القبض عليه ، وأثناء محاكمته كرَّر القول بأنه باع روحه للشيطان مقابل معجون سحري بإمكانه تحويله إلي ذئب عندما يريد. وفي ٦ سبتمبر حكم عليه بالحبس مدى الحياة في أحد الأديرة بعد أن وُجد مذنبا بقتل عدة أطفال وأكل لحومهم. وكثيرا ما ضبط في الدير وهو يمشي على أربع أو وهو يمزق اللحم النيئ في المطبخ ، وظل يرفض الاستحمام حتى وفاته بعد ٧ سنوات من احتجازه في الدير.

بيد أن حكايات الرجل الذئب لم تنته باستئصال الذئاب في أوربا حيث أخذت السينما تعيد إحياء تلك الأساطير مضيفة إليها حكايات الخفاش مصاص الدماء (فامبير) وفي عام ١٩٧٥ تهيأ

لبحار إنجليزي في الـ١٧ من عمره أن روح الشيطان قد تقمصته وقد أخبر صديقا له ذات مرة أن لون جلده قد تغير ثم أخذ يعوي أحيانا مثل الذئاب. إلي أن وجد مقتولا خارج البلدة وقد غرست في قلبه سكينا قاتله.

أمّا قصه عامل البناء بيل رامزى فكانت مختلفة ، لقد أحس في عام ١٩٨٧ بالاستذئاب وقصد مخفر الشرطة في ساوث أند باسكس فهاجم ثمانية رجال شرطة داخل المخفر فجرح بعضهم بمخالبه قبل أن يحضر أحد الأطباء ويعطيه حقنتين لتهدئته. غير أنه خرق برأسه الباب الخشبي لغرفة الحجز ، وتطلب الأمر حضور المطافئ لكسر الباب وإخراج رأسه المحشور في الباب الخشبي ، بعد ذلك تم إدخال رامزى إلي المستشفى لإجراء الفحوص الطبية ، وهناك اعترف بأن مثل هذه الحالات عاودته ٣ مرات خلال ٦ سنوات حيث كان في كل مرّة يشعر بقوى غريبة تتملكه فتبرز أنيابه ومخالبه ويأخذ يعوي ويمشي على أطرافه الأربعة ويقوم بأعمال لا تصدق .. " لماذا .. وكيف ؟ ! " لا يعرف.

هناك بعض التفسيرات العلمية لمثل هذه الحالات ، حيث يقال أن عضة ذئب مسعور تنقل فيروس السعار إلي الضحية الذي يأخذه السعار فيرغى ويزبد ويعض قبل أن ينهار بتأثير المرض ويموت .

غير أنه ليست كل هذه الحالات سببها فيروس السعار ، حيث إن البعض يصابون بحالات كهذه نتيجة تأثير بعض النباتات ، والحيوانات مثل بعض أنواع فطر عيش الغراب السام ، أو بعض أنواع الضفادع التي يفرز جلدها مواد مهيجة أو سامة. كما إن مرض البورفيريا النادر الحدوث يسبب أيضا حالات كهذه ، حيث أن المرض يسبب خللاً عقليا قد يصل إلي حالة الجنون كما يتسبب في نمو الشعر وتقلص عضلات الوجه وبروز الأنياب وفى الحاجة إلي الاحتجاب من ضوء الشمس الذي يؤذيهم والحاجة إلي امتصاص الدم من الآخرين.

***

الفهرس

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة - نوسا البحر
ت: ٤٤١١٩١ / ٠٥٠